شذرات خمينية ـ الإصدار الثامن

هوية الكتاب

اسم الكتاب: ....شذرات خمينية ـ الإصدار الثامن

ترجمة، إعداد، ونشر: ....دار الولاية للثقافة والإعلام

الطبعة:...الأولى، سنة: ١٤٣٩هـ

شذرات خمينية قدس سره

الإصدار الثامن

* الإمام الخميني قدس سره والمشروع الإسلامي
* حوار مع سماحة آية الله الشيخ محمد هادي معرفة
* استيعاب الوضع والكياسة السياسية
* ارتباط الدين والسياسة من وجهة نظر الإمام الخميني قدس سره
* وصية أخلاقية في تقبل الذم ورفض الثناء
* وثائقيات

دار الولاية للثقافة والإعلام

الإمام الخامنئي دام ظله:

إننا نعلن أمام جميع الشعوب وبكلّ صراحة أنّ فكرة انتهاء عصر الإمام الخميني والتي يطرحها العدو بمئات الأساليب والتعابير، إنما هي خداع ومكر استكباريّ لا غير، وأنّ الإمام الخميني سيبقى رغم أنف أمريكا وأعوانها بين شعبه ومجتمعه حاضراً بكلّ قوّته، وأنّ عصر الإمام الخميني مستمرّ وسيبقى مستمرّاً دائماً:

نهجه نهجنا

وهدفه هدفنا

وإرشاداته المشعل الوضّاء الذي يضيء لنا السبيل.

الإمام الخميني قدس سره

والمشروع الإسلامي

إطلالة عامة على الأدوار الإحيائية
والمكونات الفكرية

الإمام الخميني قدس سره والمشروع الإسلامي

من يطالع الحركة الإصلاحية في إطارها الإسلامي والإنساني بمحطاتها التاريخية المتنوعة، تظهر لديه في طياتها وتضاعيفها شخصيات متعددة حملت على كاهلها الفكري والحركي الضلوع بدور القيامة والنهوض والتغيير في المجتمع والأمة في بعديها المعرفي والسياسي، بوصفهما بعدين يشكلان عصبا حساسا وحيويا في صناعة التاريخ والثقافة والهوية، ويتحكمان في الإمساك بمفاصل القوة لدى الحضارات والشعوب.

هذه الشخصيات الاستنهاضية لدورها التاريخي البارز، تبقى لفترات متطاولة تحت مجاهر المطالعة والدراسة والتحليل، وذلك لاستجلاء مكوناتها، واستنطاق أبعادها، وملامسة خصوصياتها، وتحديد عوامل نجاحها وتأثيرها التي غيّرت بنية الواقع وبناءه؛ باعتبارها نموذجا لامعًا للقيم الإنسانية الحية، يستدعي أن يكون له حضور ملهم في واقع الاجتماع البشري، يصيغ له منطلقاته ومساراته وأهدافه.

شخصية الإمام الخميني قدس سره تعتبر علامة جوهرية فارقة في تاريخ التجربة الإصلاحية والنهضوية للمجتمع الإسلامي، لتميّزها المعرفي والنضالي، وتأثيرها التأسيسي في مسار الأحداث والظروف والتحولات التي انعكست على أرجاء معمورة الوجود الإنساني.

والمدارسة الموضوعية لشخصيته قدس سره وتجلياتها المتنوعة بما لها من

العمق والشمول والامتداد على المستوى الإسلامي، تحتاج في تلمّس خصائصها واستكناهها إلى آليات متعددة من العلوم والمعارف والاهتمامات؛ تجسيدًا لقانون السنخية الذي يؤثر في حركة عالم الوجود الخارجي ونشاط الإدراك المعرفي، فالإمام الخميني برز بوصفه عالما دينيا متنوعا في مجالاته، ومفكّرا إسلاميا حاذقا في منظومته، وعارفا توحيديا عميقا في حقائقه، ومصلحًا نهضويا في أمته، فمن الطبيعي أن الدراسة التحليلية لمثل هذه الشخصية الإسلامية العملاقة، تفرض على الباحث عُدَد معرفية لائقة واعية ودقيقة، تمكّنه من الاطلاع المعمق على المجمل العام لهوية هذه الشخصية الإلهية وتشعباتها المتعددة .

- **بروز البعد السياسي في شخصية الإمام الخميني قدس سره**

الأسباب والدواعي

رغم الشمولية والتكامل والتنوع في أبعاد الشخصية الخمينية -كما في المشار إليه أعلاه- إلا إن الإبداع السياسي كان هو الأبرز في الأوساط الإسلامية والإنسانية العامة، ذلك لأن نشاطه التغييري أحدث تحولات جوهرية عميقة في واقع المجتمع والأمة، أبرزها:

١/ تحويل القراءة الفكرية للدين من صيغته الكلاسيكية التقليدية الفردية إلى ظاهرته الحيوية الممتدة والشاملة والقادرة على إدارة المجتمع الإنساني

بأطرافه المترامية نحو الكمال والجمال([1]).

٢/ النهوض بأعباء التغييرات الجذرية في نسق المجتمع وتركيبة الأمة، بدءً من جذور ركائزها التحتية إلى بنياتها المجتمعية والسياسية والفكرية، وذلك بصورة نوعية فاعلة، قامت بإعادة تشكيل المشروع الإسلامي المعاصر، وإدخاله في معادلات التأثير الأساسي في مسار الوضع الإقليمي والدولي، حتى بات هذا المشروع بصيغته الثورية والسياسية في موقع التجاذب على مستوى التحليل والتأمل بين أطراف الساحة من الأَصلاحيين الإسلاميين، والسياسيين القوميين، والمستشرقين الغربيين.

• دور الإمام الخميني في جهود المشروع الإحيائي للأمة عنصر الإبداع والتميّز

الإمام الخميني ينتمي إلى تجربة حية ورائدة، تجسدت بعض ملامحها البارزة في سياق التحولات الفكرية والسياسية التي اجتاحت العالم الإسلامي في مطلع القرن العشرين في ضوء انكشاف المشهد عن السيطرة الغربية، والتراجع السلبي للمجتمعات الإسلامية الذي كان وليد صراعات متنوعة المصادر والمنابع، ومختلفة الأشكال والمظاهر، غذّتها سلطات محلية قامعة

([1]) الدولة الدينية عند الإمام الخميني قدس سره .. قراءة في المفهوم القرآني.

ومستبدة، وإرادات استعمارية طامعة مهيمنة ...

وشهد المجتمع الإسلامي في مطلع القرن العشرين من حركات الاحياء والنهوض التي برزت بشكل متنوع في انتماءاتها وهوياتها، وعيًا دقيقًا

منها لظروف المرحلة وطبيعة أزماتها ومكامن تحدياتها التي عصفت بها، وأدت إلى شيوع حالة الجمود والسكون، وتجذر ظاهر الضعف والاستسلام، لكنها هذه الحركات استغرقت بكل جهودها وفعالياتها في هذه المرحلة ولم تنتقل إلى المرحلة الأخرى الأهم، وهي مرحلة اجتراح الحلول والرؤى المناسبة للإصلاح والتغيير.

من إبداعات الإمام الخميني النوعية والتاريخية في هذ الإطار، هو الانتقال بالمشروع الاحيائي إلى أفق رسم الاستراتيجيات والحلول الكبرى للخروج من الأزمات والمشكلات، فهو أدرك بدقة ووعي مواقع الخلل والترهل في العالم الإسلامي هذا من جهة، لكن من جهة أخرى لم تقف طموحاته وهمومه ومساهماته عند هذه الحدود[1]، بل تجاوزها إلى وضع المداميك الأساسية للإحياء الإسلامي المنشود، فدفع مشروعا نهضويا متكاملا في وسط المجتمع الإسلامي، لتدخل حركة الإحياء لدى الإمام بصورة جادة في مسار الثورة على الواقع والتعالي على تعقيداته المتشابكة التي شكّلت عجزاً للكثير من تيارات النهضة على تجاوزها وتغيير واقعها بصورة بنيوية

---

(١) الرؤية المعرفية عند الإمام الخميني.

جذرية حقيقية تتلاءم مع الطموحات والتطلعات والشعارات، ثم يصل هذا الإحياء الخميني للدين والفكر والمجتمع بعد ذلك إلى تشكيل النموذج الإسلامي الحي، القادر على صنع الأمم والشعوب.

• المكونات الفكرية لمشروع الإمام الخميني قدس سره الإسلامي عرض أولي للمعالم والملامح

استكمالا لما سبق تبرز الأهمية البالغة في دراسة المكونات الفكرية والروحية لتجربة الإمام الخميني الإسلامية ودورها الإحيائي المتعدد الجوانب والأبعاد؛ بوصفها تجربة ناجحة ومؤثرة في الأخذ بالدور الديني في الحياة من مواقع الضعف والتبعية والاستلاب، إلى مواقع القوة والاستقلال والسيادة، بحيث يمكنها هذه التجربة أن تكون مثالا وأيقونة لمختلف أشكال حركات الإحياء والنضال والنهوض التي تبحث عن عوامل تطوير الأمة إلى ما تصبو إليه من الأهداف والمقاصد والغايات تبعا لانتمائها الأيديولوجي وفكرها السياسي.

من يستقرئ المكونات الفكرية لمشروع الإمام الخميني قدس سره، يجدها متنوعة ومتعددة، إلا إنها في خيوطها وجذورها تعود إلى قاعدة واحدة متماسكة بعيدة عن أشكال التشظي والتشتت والتبعثر، وتعيش الوحدة والتجانس والترابط، هذه القاعدة الأساسية، هي: حاكمية الإسلام المحمدي الأصيل في الحياة، ومن هذه القاعدة البنيوية المتجذرة تنبثق مختلف المكونات والمعالم والفعاليات لمشروع الإمام الخميني قدس سره.

ومن الجدير بالتنويه، أن دراسة هذه المكونات الفكرية، وتحليلها، ومعرفة محتوياتها، أكبر من أن يحيط بها مقالة ثقافية مضغوطة، أو تستوعبها دراسة علمية مجملة، فهي في ترابطها وتجانسها تشكل فكرًا ممنهجا عميقا يحتاج في قراءته إلى دقة ووعي، ففكر الإمام الخميني على خصوبة الدارسات المتنوعة فيه، إلا إن الكثيرين الذي خاضوا غمار تناول هذه الشخصية النهضوية الرائدة وسبر أغوارها، أدركوا أن استنطاق آفاق هذه الشخصية لا زال حيا متجددًا ومفتوحًا، فهي لم تستكمل ملامحها بعدُ لدى النخبة المنتمية إلى التجربة الإسلامية، وتحتاج فيها إلى المزيد من المطالعة والبحث والتأمل.

ولا تدعي هذه اللمعة الخاطفة أنها ستدرس هذه المكونات بتفاصيلها ودقائقها وطبيعة موقعها في الخارطة العامة للتجربة والشخصية، إنما ستقوم بدور الإشارة إلى شيء منها بشكل مجمل.

١/ السياسة والديانة، وحدة وتكامل ... مطالعة في دور الإمام في تثوير الفكر السياسي للدين

من يتابع حركة الإمام الثورية والتغييرية، يلمس بجلاء ووضوح أن الإمام منذ بدايات حركته الإسلامية، أدرك أن المجتمع الشيعي من أجل أن تنفتح مغاليقه النهضوية، يحتاج إلى إعادة بناء نسق تفكيره الديني، فالتفكير الديني في الوسط الشيعي آنذاك كان فرديًا وطقسيًا، لا يقارب البعد السياسي والاجتماعي، ولا يعتني بمطاولته والتواصل معه على المستوى العملاني.

فالنشاط الاجتهادي والفكري في المناخ الديني، كان في بعض مراحله

التاريخية المتقدمة يقرأ الظواهر والقضايا والتحديات في أبعادها الفردية وينعطف معها في مجالاتها الروحية، لكن لا يشكل منها بلورة ناضجة لمفاهيم ونظريات ومواقف على الصعيد السياسي والمجتمعي، منطلقة من الرؤية الإسلامية ومقارباتها الفكرية، وذلك لأسباب سياسية متعددة ومتداخلة أدت إلى هيمنة الصورة الفردية على العقل الاجتهادي والاستنباطي للدين، حتى تشبّعت تصورات هذا العقل ومعالجاته في هذا الجانب من تمكين النظرية الإسلامية في حياة الإنسان، ليحاذيها بشكل موازي حالة انكماشية على صعيد الفكر السياسي والفقه الاجتماعي، فترسخت بصورة تدريجية هذه الذهنية الفكرية من دراسة الدين والشريعة لدى أكثر الاتجاهات الشيعية، إلى أن امتدت في النهاية هذه السيطرة الفردية على المزاج الفكري للاجتهاد الديني، بحيث باتت الرسالة الإسلامية بعليائها وشمولها وسعتها محجّمة في الإطار الفردي والذاتي، وأصبح المجتهد الديني نفسه لا يرى الشريعة لديها الإمكانات والطاقات الكافية لاستيعاب تحديات الواقع السياسي والاجتماعي، بل هي مبرمجة لإدارة الإنسان الفردي.

في البداية كان انسحاب الفكر الديني عن إدارة الواقع السياسي والاجتماعي والاستجابة لمتطلباته وحاجياته ناتجا عن تكالب الأسباب المتنوعة الخارجية والداخلية عليه، فأدت إلى إقصائه عن مواقع الحكم والإدارة بشكل قهري من اشتمال الشريعة على الأبعاد السياسية والاجتماعية، لكن مع تمادي هذه المرحلة وتكرّسها بشكل تدريجي، صار الفقيه الإسلامي لا يري الشريعة في ذاتها ومكوناتها وليس بسبب استئصالها عن الإدارة

الاجتماعية – إلا هوية فردية محضة، تتحرك لتحقيق الأحكام والقيم والأهداف ذات الصلة بها، ليبقى البعد الاجتماعي في هذه النظرة – منفصلا عن الدين غير داخل في حساباته، ومسلمًا إياه لإدارة العقل البشري وتجاربه السلطوية والعلمانية والاستعمارية([١]).

والذي زاد هذا الواقع الشيعي تعقيدًا هو مرافقة التنظيرات الإسلامية والمقولات دينية لهذا المشهد الفكري المأزوم التي تعطيه الشرعية والمنطقية، حيث ساهمت هذه المقولات في تكريسه النفسي والاجتماعي، من هذه المقولات، مثل: الانتظار السلبي للقضية المهدوية وتأثيراتها السياسية، ونظرية التقية بمدياتها الواسعة، وبعض أشكال الفقه السكوني الذي يعطّل الفرائض ذات الطابع السياسي والاجتماعي من مشروعية الجهاد، وصلاة الجمعة والعيدين في مرحلة الغيبة وغيرها([٢])..

في هذا السياق جاء الإمام الخميني ليصارع هذا الواقع الفكري القائم، ويقوم بعملية تثوير للجانب السياسي في الدين وتظهير مفاهيمه وإعادة انتاجها بصورة حركية ناهضة، بل أبرزها بوصفها حقيقة الدين وهويته الإسلامية العميقة التي تقوده إلى تسنم موقع الحضارة والسيادة([٣]).

([١]) ومضات للشهيد الصدر.

([٢]) حوارات ولقاءات في الفكر الإسلامي المعاصر.

([٣]) الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه.

- **التقسيم المنهجي للسياسية في رؤية الإمام الخميني:**

على هذا الصعيد قسّم الإمام الخميني السياسية إلى قسمين:

١/ السياسة الدينية الإلهية: وهي الجهود والفعاليات والمساعي إلى التغيير الإنساني لصالح بناء المجتمع التوحيدي والإلهي، الذي يهدف إلى تكميل الروح الإنسانية، وترسيخ البعد المعنوي، والقيام بالمصالح الاجتماعية العامة([1]).

٢/ السياسة الإنسانية الأرضية: هي السياسة المنقطعة الجذور والأهداف عن المحورية الإلهية والجوانب المعنوية في إدارة الحياة والمجتمع، والمتمركزة في إطار المحورية الإنسانوية، لتكرس نظامها ونشاطاتها في سياق الاستجابة للبعد المادي والأرضي من الحياة البشرية بأشكالها المختلفة من الاجتماعية والنفسية والاقتصادية.

فالإمام الخميني قدس سره كان يركّز في مجمل تصوراته الرؤيوية ونظراته الإسلامية على أن السياسة الصالحة لبناء الواقع المجتمعي وفق الأهداف الإنسانية المقدسة من الكمال والسعادة والعدالة والحرية والاستقلال، هي السياسة التي تتبلور في رحم الفلسفات الإلهية للوجود القائمة على الربط بين الأضلاع الثلاثة(الله، الإنسان، العالم) في عملية تفاعلية تصيغ الحياة البشرية

([1]) صحيفة النور: ٦، اتحاد الدين والسياسة في الحكومة الصالحة، الدولة الدينية عند الإمام الخميني .. قراءة في المفهوم القرآني.

بصورة يتطابق فيها التشريع مع التكوين، والمادة مع الغيب، والحس مع الفطرة، فالحرية السياسة في عمقها لديه، هي تمظهر للحرية المعنوية، والعدالة الاجتماعية في حقيقتها امتداد للعدالة الروحية، فهذه المفاهيم في بنياتها التحتية هي معانٍ ذات طابع فلسفي وجودي، تصيغ بإشعاعاتها الروحية القوالب السياسة والمجتمعية والاقتصادية.

- **الدمج بين السياسة والدين... بواعثها وأسبابها**

وفي ظل هذا الفهم الواعي للدين من الإمام الخميني، تغدو كل الأحكام الدينية لها تجلياتها السياسية المتنوعة؛ لأن السياسة تسري في روح الدين وتندمج بآفاقه الحيوية، وهذه التميّز الخميني على مستوى التنظير والتفعيل، ناشئ من:

١/ القراءة الشمولية العميقة للإسلام، بوصفه دينًا يتدخل في كل مناشط الفعل الإنساني ومساحاته، ليكون الدين في ظل هذه القراءة هو الحياة، والحياة هي الدين.

٢/ الحس الثوري الواعي للإصلاح والتغيير، والاعتقاد الصارم أن الدين هو الوسيلة النهوضية الوحيدة الصالحة لإعادة تشكيل الحياة الإنسانية وفق القيم العليا.

٣/ الوعي السياسي المتوقد، الذي لا يقتصر على الرؤى التحليلية للواقع الإسلامي وخلفياته ومآلاته، بل يتكئ على نظرة فلسفية كاملة تجاه الإنسان والحياة والمجتمع.

٢/ المحور التوحيدي والعرفاني ودوره النهضوي

من أجلى مميزات شخصية الإمام (رضوان الله عليه) وتجربته الإسلامية، هي محورية علاقته التوحيدية والعرفانية برب الوجود، وعوالم الوجود، ومرافق الوجود. هذه العلاقة استغرق الإمام الخميني فيها أشواطا طويلة وكثيرة؛ من أجل تكوينها وبنائها وتنضيجها في نفسه، قبل أن تبدأ لديه مرحلة النهضة السياسية والثورة الاجتماعية، في ضمن حركة واعية لبناء التجربة الإسلامية تتحرك في هدي المنطق القرآني الذي يبني الإصلاح الاجتماعي على القاعدة الروحية والمعنوية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، حتى أصبح المكون العرفاني عند الإمام(رضون الله عليه) هو المهيمن البارز والطافح والمغطي على بقية مظاهر شخصيته الإسلامية المتعددة، فالإمام الخميني على تنوع مظاهر شخصيته الفكرية إلا إن البعد العرفاني كان يلعب دور القاعدة والأصل والأساس فيها على مستوى نسق تفكيره ونمط رؤيته ودوافع سلوكه وأدائه.

المدارس المعرفية الإلهية على تعددها واختلافها في آليات وعي الوجود واستكناه حقائقه، بحيث تنوعت إلى: المدرسة المشائية، إلى المدرسة الإشراقية، إلى المدرسة الصوفية، إلى المدرسة الصدرائية، إلا إن الإمام بعقله الشمولي ورؤيته التوحيدية قام في مرحلة التخلية والتصفية والتجلية والتحلية بعملية تجسير روحية ومعرفية بين هذه المدارس في استكشاف الحقائق؛ صيرورةً بها إلى حركته النهضوية الحية في بناء الواقع الفكري والاجتماعي والسياسي، الذي تَمثل مرحلة الانتقال من الحق إلى الخلق بالحق في أسفاره

العرفانية والتوحيدية([1]).

فالإمام الخميني تميّز في شخصيات المدرسة العرفانية، بقدرته على تحرير التوحيد الإلهي والعرفاني – إن جاز التعبير – من روحيته الفردانية والذاتية؛ ليأخذ انسيابيته النهضوية في بناء الحياة وتحريك مياهها الإنسانية المتنوعة، وهنا نبرز نماذج على تدخل البعد العرفاني في إدارة الحياة الاجتماعية والسياسية.

- **العرفان ودوره الثوري:**

فالثورة ضد الظلم والطغيان لا يمكن أن تنبثق إلا من عمق العبودية الإلهية المخلصة؛ لأن التوحيد الروحي لله عندما يهمين على وجود الإنسان ويغطي كل مساحات قلبه، ويتحول إلى محور لكل فعاليات الإنسان وسلوكه السياسي والاجتماعي، سينتج بصورة تلقائية رفضًا للاستعباد المادي والصنمي، ومقارعةً لكل ألوان السيطرة الطاغوتية البشرية. فالعبودية الصادقة والكاملة لله تساوق الانعتاق من الأغيار، والانفلات من الارتهان لهم، والإمام الخميني في هذا السياق يستند في بلورة هذا المعنى الثوري للتوحيد إلى آيات كثيرة، منها ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾، فالإرادة الإلهية تتجلى في تحرير المستضعفين من قيد الطواغيت، وتسليمهم موقع الإمامة والقيادة والحكومة، عندما تنطلق نهضتهم الإيمانية في

([1]) الرؤية المعرفية عند الإمام الخميني.

مسار الحركة والمقارعة والمقاومة([1])، فالتوحيد الإلهي ليس أفقا معنويا جافًا، بل له مضامينه الثورية والسياسية والاجتماعية والفكرية التي تصيغ الواقع، وتحرك مكامنه، وتفتح مغاليقه المعقدة، وترسم الرؤى الإصلاحية تجاهه.

- **العرفان ودوره في مشروع الحكومة والدولة:**

مشروع الحكومة الإسلامية في أدبيات الإمام الخميني قدس سره، ليست أهدافها الغائية هي الوقوف عند حدود العدالة الاجتماعية ونظم الحالة السياسية والاقتصادية، بل هذه القيم الإنسانية هي بدورها وسائل لبناء الواقع المعنوي والإيماني، وهنا يبرز الإمام الاختلاف الفلسفي بين المدرسة الإسلامية والمدرسة المادية على المستوى السياسي، فالفلسفة المادية تبحث في نظمها السياسي إلى توفير أجواء الأنس والرفاهية والرخاء بوصفها غايات ذاتية لها، بينما المدرسة الإلهية في تفسيرات القراءة الخمينية، تنظر إلى هذه الأهداف المادية باعتبارها مناخات مهيئة للوصول إلى السعادة الروحية العظمى والعشق الإلهي والكمال التوحيدي الخالدي([2]).

فالوعي الإسلامي الذي يعطي الحكومة والنظام دور إعمار الأرض بالتوحيد والعرفان، يربطها بهيمنة المحورية الإلهية في حياة الإنسان بكل آفاقها ومدياتها، وتحويل هذه الحياة في كل شؤونها وأبعادها إلى ساحة لقاء

([1]) صحيفة النور:٨.

([2]) الدولة الدينية عند الإمام الخميني .. قراءة في المفهوم القرأني.

بالله، وإلى مسجد للأولياء، حتى يكون المجتمع الذي يديره المشروع الرباني للنظام الإسلامي قادر على أن يبلور نفسه بوصفه حاضنة منتجة للإنسان الذي يملك روحية فاعلة إيجابية، روحية تتحفز إلى التكامل، وتستهدف السير في مدراج العروج، وتعمّق الارتباط الإلهي في نفسها، إلى حد أنها تتحول إلى إشعاع هداية ورشاد وتأثير وحضارة لسائر الأمم والشعوب([1]).

- **العرفان ودوره المعرفي:**

لقد نظر الإمام الخميني إلى المعارف الدينية والعلوم الإسلامية بصفتها وحدة توحيدية واحدة، رغم تعددها وتنوعها، لأن التوحيد في معتقده العرفاني الواعي يمثل جوهرها وروحها السارية في أبعادها المختلفة، فالفقه والكلام والفلسفة والأخلاق لديه، هي عبارة عن تمظهرات متعددة لحقيقة واحد متماسكة، ولهذا لاحظنا الإمام الخمينيﷺ في هذا السياق، اهتم بشكل واضح في تركيز شيء من نشاطه العلمي على الربط بين هذه المعارف لصالح المبدأ التوحيدي والإلهي، حتى تكون هذه المعارف، عبارة عن وسائل مجتمعة متلائمة يمكن أن تعبّد لمفكرها وباحثها طرق متجانسة في الوصول إلى الله، كما أننا وجدنا الإمام(رضوان الله عليه) اشتغل في العبادات على تظهير آدابها المعنوية، وفي المعارف على تثوير حقائقها الإلهية، في سياق عملية إحيائية فاعلة، ترتكز على محورية الله في الوجود الإنساني على

([1]) الحركة الإسلامية.. هموم قضايا.

المستوى الابستمولوجي والأنطولوجي([1]).

٣/ الدولة الإسلامية في المشروع الاحيائي .. الموقع والتأثير

من أهم مكونات الوعي الديني البصير عند الإمام الخميني قدس سره في مشروع نهوضه الإسلامي، هو أنه لم يدخل في ساحة النضال والثورة والكفاح من دون أن يمتلك مشروعا واضحا متكاملا يصنع به الواقع الجديد، ويمسك بمفاصل القوة والتأثير فيه، فهو لم يقبل بأن يكون نتيج الثورة الإلهية وقافلة الشهداء الأحرار فيها إلا قيامة الدولة الإسلامية، التي تنشر القيم والمبادئ، وتكرّس الحق والفضيلة، وترسّخ العدالة والكرامة، وتضع الناس على مسار الاستقامة والكمال([2]).

والإمام(رحمه الله) كان وفيًا لمقولة الحكومة الإسلامية إلى حد أنه بات يربط مجمل أهداف الشريعة لحياة الإنسان بمشروع إقامة النظام والدولة، بالإضافة إلى إيمانه العميق بأن حجم الحضور الاجتماعي والسياسي في منظومة الفقهيات الدينية يفوق البعد الفردي وحاجياته المعنوية([3])، الأمر الذي يفضي إلى قراءة مفرداتها بوصفها ذات وشائج عضوية مترابطة تنتهي إلى تأكيد الضرورة الوجودية للحكومة الإلهية التي تعطي الفقه فلسفته

([1]) في رحاب الإمام الخميني.

([2]) الإسلام يقود الحياة.

([3]) الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه.

ومقاصده الإلهية العامة([1]).

وفي السياق نفسه، كان يؤكد الإمام أن أفضل أشكال الحكم السياسي الذي يضمن إيصال البشرية إلى الحرية والسعادة، ويرفع عنها ألوان الظلم والجور والتعدي، هو الحكم الإسلامي القائم على تحقيق الرضا الإلهي في كل مؤسساته وأجهزته ونشاطاته([2]).

وعلى الصعيد ذاته، كان الإمام(رضوان الله عليه) يبرز حركة النبوات والرسالات في إطارها الحركي والسياسي العام، على أنها تجلٍ ناصع للحاكمية الإلهية على عالم التشريع في كل مناحيه ومساحاته؛ تحقيقا للقسط والعدالة ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾، ليمارس الفقهاء اليوم الدور نفسه على صعيد الحكومة والدولة في الهداية الإلهية .

فالإمام الخميني(قدس سره) منذ أن بدأ بحركته الثورية لتغيير الواقع وتطهيره من براثن الظلم والاستعباد، اشتغل في الوقت نفسه على طرح البديل الإسلامي الصحيح للحكم والإدارة، وراكم في هذا الصدد كل أشكال التكريس العلمي السياسي للطرح الإسلامي في الذهنية الاجتماعية العامة،

([1]) صحيفة النور: ٢١.

([2]) أساس الحكومة الإسلامية .. دراسة استدلالية مقارنة بين الديمقراطية والشورى وولاية الفقيه.

وذلك بأساليب متنوعة: من الدرس العلمي، والنشاط الفكري، والخطاب السياسي، والتظهير القرآني، إلى أن أصبحت بينه وبين مقولة الحكومة الإسلامية علاقة وثيقة راسخة على نمط نظرية تداعي المعاني أو القرن الأكيد بين اللفظ والمعنى.

وهذا التوظيف الاستراتيجي الكبير لمشروع الحكومة الإسلامية في النشاط الاحيائي للإمام الخميني قدس سره؛ لاعتقاده أن هذا المشروع هو الخيار الأكفأ والأجدر لعودة الأمة إلى واجهة الموقع الحضاري، وإدارتها لحركة الحياة، بعد أن تراجعت عن هذا الموقع الملائم بصورة مصاحبة لتقدم المشروع الغربي والاستعماري.

فالإمام الخميني قدس سره كان يدرك أن سيادة الحكومة الإسلامية تعني: أن مفاصل الإدارة، ومراكز الفكر، ومنابر الأخلاق والهداية، ومؤسسات التنمية، وعوامل التطوير، ستكون بيد إسلامية خالصة، تجعلها تحت تأثيرها الروحي وأهدافها الكبرى.

فالإمام الخميني لعيشه الأزمة العميقة التي كانت تمر بها الأمة والمجتمع، وجعلتها ترزح تحت وطأة الظلم والتبعية، وأبعدتها عن مواقع الحضارة والسيادة، كان متيقنًا بحكم انتمائه الديني الواعي والعميق إلى أن الإحياء الاجتماعي لمقولات الإسلام الدينية، والتطبيق السياسي للشريعة؛ كفيلٌ بالنهوض الإسلامي من جديد، وخليق بتحقيق الفرصة الحضارية اللائقة

لمشروع السماء والغيب([1])، فانطلق بكل صدق وإخلاص لتحشيد كل العوامل والمفاعيل المؤثرة في تحويل هذا المشروع من واقعه التنظيري والتاريخي إلى فعله الخارجي والميداني، بحيث دشّن مرحلة الثورة، مرورًا بمرحلة الدولة، ليصل بعد ذلك إلى مرحلة الأمة والحضارة([2]).

- **الحكومة الإسلامية في اجتهاد الإمام الخميني..الأدلة والشواهد**

الإمام الخميني قدس سره في تشييده الفكري للأدلة المثبتة للضرورة الدينية للحكومة الإسلامية من اجل تحقيق الفلسفة الوجودية للإنسان والمجتمع، بلّور هذه الحقيقة الإلهية على المستوى العلمي بالكثير من البراهين المتنوعة، رغم قناعته الواعية والراسخة على بداهتها الفكرية التي لا تحتاج إلى أكثر من التصور والتعقل لحقيقتها ودورها، لكنه مع ذلك استطرق الكثير من الأدلة والشواهد؛ لإثارتها وتظهيرها من الكمون الفكري إلى عالم الحضور الديني والإسلامي، ومن أبرز هذه الأدلة:

- النظرة الهدفية إلى التشريعات الدينية التي يمكنها أن تؤمّن فرصة العدالة الاجتماعية في الإطار الإسلامي، من خلال التطبيق الواعي

([1]) دراسات في الفقه الإسلامي المعاصر: ج٤.

([2]) التجديد والاجتهاد الفكري عند الإمام الخامنئي: ج١.

والرشيد للقوانين والأحكام والقيم في إطار المجتمع من قِبل قيادة إلهية تُجري الدين في الواقع الخارجي.

- النظرة الكلية الفاحصة للأحكام الشرعية التي تفضي إلى ضرورة وجود الحكومة الدينية، لاحتياج اللون السياسي منها إلى ذلك، ولارتباط الإصلاح المجتمعي من جهة أخرى بعملية التنفيذ والاجراء للأحكام دون أن يكتفي بالتبليغ والإيصال، وكذلك لحفظ مصالح الناس ونظامها وحقوقها وثغورها.
- النصوص القرآنية والحديثية الكثيرة والمتعددة في هذا السياق.

٤/ التحدي السياسي والمجتمعي للفقه الديني ودور الزمان والمكان في منظومة الإمام الاجتهادية

من أبرز التحديات التي كان يواجهها الفقه الديني، هي عدم توفره على قوالب تقعيدية جاهزة تستجيب للحراك السياسي والتطور الاجتماعي، وذلك بفعل هيمنة التفكير الفردي على مزاجه الاجتهادي ومعالجاته الفكرية ومساحاته الاستنباطية، على أن العقل الديني السائد –كما أسلفنا العرض – يؤمن على المستوى النظري أن الدين ليس مختصرًا بالحياة الروحية والفردية فقط، يل هو ينفذ في كل مساحة من نشاط الإنسان وفعله. المشكلة الأساسية

كانت أن الفقه تطوّر على المستوى العمودي([1])، لكنه لازال يشتغل على نفس المساحة الفردية، من دون أن يتمدد إلى المساحات الاجتماعية والسياسية أفقيا، ليرصد أسئلتها ومشكلاتها ومستجداتها، ويمارس فيها التنظير والبناء والتقنين، ويشكّل لها صيغ فقهية وفكرية واضحة وجلية تتناسب معها.

هذا يرجع في جذوره إلى غيبوبة المؤسسة الدينية عن المشهد الاجتماعي وانعزالها عن الواقع السياسي، والأمر الذي يعني فقر الدراسات الفقهية الممولة للإطار الاجتماعي والسياسي.

بعد المنعطف التحولي الكبير الذي أحدثه الإمام الخمينيﷺ بتكوين النظام الإسلامي في إيران وما رافقه من حاجات متنوعة تتصل بأسلمة المؤسسات الاجتماعية والسياسية والفكرية، وآليات تداول السلطة، ونمط العلاقات الدولية، دفع بالفقه الاجتهادي في إيران إلى الحاجة الماسة إلى تقديم صيغ وتنظيرات ورؤى تجتمع في إطار الاستجابة

للحاجة السياسية والاجتماعية([2]). والمستجدات بطبيعتها تتفتق بحركة المجتمعات الدينية وتطوراتها وتحولاتها السيالة، والشريعة يمكن أن توفر لها الصيغ والتقنينات؛ لأنها تنطوي في ذاتها وهويتها على روح حية قادرة على التجاوب والتفاعل، وذلك بحكم إيماننا بشموليتها واستيعابها لكل أبعاد الحياة الإنسانية، لكن تحتاج قدرتها وطاقتها هذه إلى تثوير وتظهير، عبر اشتغال

([1]) ومضات.

([2]) المشهد الثقافي في إيران .. فلسفة الفقه ومقاصد الشريعة.

العلماء والفقهاء والمفكرين على استنطاقها وتفعيلها وتسييلها في واقع الاجتماع والسياسة.

وفي السياق نفسه، من الواضح أن من خصائص الفقه الشيعي هو انفتاح العملية الاجتهادية وتواصل تحديثها وتطوير أدواتها في الفعل الاستنباطي، غير أن عملية التحديث والتطوير والمواكبة من جهة الاجتهاد الديني قد تتباطأ أحيانا، وتتعطل أخرى لعوامل متعددة، يرتبط جزءٌ منها بالجمود أمام مقولات الاجماع ، والشهرة ، والوقوف على رؤى الفقهاء الكبار، خصوصا حين تسود تصوراتهم الفقهية وتترسخ في الوسط العلمي، الأمر الذي أوقعنا في بعض المراحل الفقهية على التحرك في مدارات واحدة ومحددة، على الرغم من تطورات الواقع وتغيراته المستمرة.

لكن المشكلة برزت بوضوح حينما أرادت الدولة الإسلامية بعد ثورة الإمام الخميني قدس سره استنزال المورث الفقهي إلى أرض الواقع على مستوى المجتمع والدولة، حيث أخضعت هذا الموروث للتطبيق بمدياته الواسعة، فوجد المعنيون بعملية التطبيق أن هذا الموروث الفقهي غير قادر على الوفاء بالمتطلبات الاجتماعية في ظل قواعده المتاحة فعليا، الأمر الذي دعا الإمام الخميني إلى إطلاق نظريته التي اقترنت به بصورة أكيدة، وهي نظرية تحول الزمان والمكان في تغير الفتوى الدينية، حيث قال:

((إن الزمان والمكان عنصران أساسيان في الاجتهاد، إذ بلحاظ العلاقات الحاكمة في السياسة والاجتماع والاقتصاد في أحد الأنظمة الاقتصادية والسياسية والا جعلت نفس ذاك الموضوع – بالظاهر – موضوعا جديدا

فيستتبعه حتما حكم جديد))([1]).

وقد كان لهذ الدعوة الواعية الحية دور ملموس في التنبّه لهذه المقولة ووعي عناصرها الزمكانية في فهم النصوص الدينية واستنطاق مداليلها الاجتماعية ومرونة الفتاوى الفقهية وتبدلها.

٥/ الدين والإنسان والأمة ... أضلاع ثلاثة متماسكة في فلسفة الإمام السياسية([2]).

من يستقرئ أفكار الإمام وتصوراته العرفانية والفكرية والاجتماعية، ليرسم منها معالم الفلسفة السياسية في تجربته الإسلامية، يجد أن ثمة ثلاثة أضلاع يمكن أن تقوم بتشكيل هذه الفلسفة والقيام بالدور الأساسي فيها، هذه الأضلاع هي:

- **الإنسان:**

الإنسان ومعرفة قيمته، هو العنصر الذي يمكن أن يبرز بصورة واضحة ترابط الأضلاع الثلاثة. ففي منظومة الإمام الخميني قدس سره يأخذ الإنسان وصياغته وبناء مسيرته التكاملية، موقع الاستهداف والغاية، بوصفه الخليفة الإلهي للوجود الإلهي وأجلى مظاهره؛ لأنه في حقيقته نفخة رحمانية، تعبّر عن امتداد للروح الإلهية. فالإنسان في الرؤية الخمينية هذه، المرتكزة على العرفان، يمثل

([1]) صحيفة النور: ج ٢٠.

([2]) إشراقات في الفلسفة السياسية للإمام الخميني.

خلاصة الوجود ومحور عالمه الإمكاني([1])، وجاءت النبوات والرسالات لتحريك قابلياته وتفجير طاقاته الضخمة الكامنة في ضمن مسارها التكاملي الصحيح.

هذا الإنسان لتفوقه بين الموجودات والكائنات بعنصر الإرادة والاختيار، يملك قدرة لا متناهية في عالم الحركة والتجوهر والتبلور على المستوى الصعودي والنزولي. فمن الطبيعي أن هذه التصورات الفكرية لخصوصيات الإنسان الروحية تجعله محورًا في المشروع الإحيائي للإمام.

- **المجتمع والأمة:**

المجتمع والأمة احتلت موقعا متميزًا في النصوص الخمينية، فكان حضورها في تصورات الإمام وخطاباته كثيفا جدًا، بدءً من حقيقتها وهويتها، وانتهاءً بدورها والوظائف المنوطة بها في القيامة الثورية، وبناء الحكومة والدولة، وتكوين ظاهرة الأمة الواحدة([2]).

والإمام في سياق ترسيمه لمعالم المجتمع الإسلامي وإبراز خصوصياته الدينية، كان يبرز الفروقات الجوهرية بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي في تعاملهما مع الظاهرة الاجتماعية، فالفكر الغربي يتعامل مع المجتمع الإنساني بوصفه آلة ميكانيكية تجردّه من بعده الروحي والمعنوي، وتتعاطى معه على

([1]) الكلمات القصار .. مواعظ وحكم الإمام الخميني.

([2]) المصدر نفسه.

أنه وجود مادي بحت، وهنا تتميز النظرية الإسلامية التي تقرأ المجتمع قراءة فلسفية متكاملة، فهي تؤكد أن الحركة الاجتماعية لا يكفي فيها إدارتها وتطويرها المقررات والقوانين المنطلقة من نظم الحقوق والحريات فقط، بل تحتاج إلى العناية بأبعادها الروحية والعرفانية، والاهتمام بإنسانها وتربيته على أساس التوحيد والتسليم.

فالإمام يؤكد أن أزمة أزمات الإنسان والمجتمع هو الانفصال بين واقعه الخارجي بتعقيداته المادية التي ترمي بالإنسان إلى الأرض، وبين هويته الروحية والمعنوية التي تهفو إلى السماء والغيب([1]).

والإمام في تناوله لحقيقة المجتمع وتأثيره، يبرز بصورة دائمة ثقته الكبيرة بدور المجتمع في النهوض والحركة والبناء، ويكون حينها له الثقل الأكبر حينما ينطلق استجابةً للنداء الإلهي في تحقيق منطق خلافة الإنسان الإلهية في معمورة هذا الوجود، ويتحرر هذا المجتمع من سطوة أبعاده المادية الباعثة على الدعة والراحة والأنانية، ليبدأ في تشكيل الدولة الربانية، التي تحقق له كل القيم الإنسانية من العدالة، والعزة، والكرامة، والاستقلال ..

كما إن الإمام في سياق تناوله لظاهرة المجتمع، لم يرد أن يحصر مشروعه الإحيائي والنهضوي في حدود إيران الجغرافية، بل هو أراد تشكيل الأمة الواحدة، والأمة الشهيدة، والأمة المحمدية، ليكون موقع الجمهورية

([1]) آيين إسلامي ٢.

الإسلامية في إيران في ظل هذه النظرة لهذا المشروع، تشكّل مركز حركته؛ حتى يكوّن منها نموذجًا خليقًا بتوليد نظائره وأمثاله، فلذلك كانت الأمة ونصرة مستضعفيها حاضرة في أفق الدولة ومهامها الرسالية، حتى أنه أطلق على مشروعه "إسلام الحفاة" و"إسلام الفقراء" و" إسلام المستضعفين" و" الإسلام المحمدي"، لإيمانه أن الإسلام يتسع للعالم كله.

على هذا الصعيد يتجلى المعنى الفكري والرسالي لتصدير الثورة، فكما يقول الإمام: أن تصدير الثورة ليس هو تصدير الحروب والمعارك، بل تصدير القيم الكبرى والمبادئ السامية التي توقظ المجتمع وتستنهضه وتصنع منه الموّحِد والمؤمن والمتأله ليكون تجليًا للبناء القرآني للإنسان والحياة([1]).

- **الدين:**

الخطاب الفكري والثوري للإمام الخميني احتوى على مفاهيم تأسيسية ذات صلة بدور الدين في نهوض الأمة وتحريرها من الظلم والجهل والتبعية، هذه المفاهيم كانت تتماوج فيها الروح الحركية والتوحيدية والنهضوية، وكان يؤكد الإمام فيها، أن هذه المفاهيم هي من العمق القرآني والنبوي والرسالي التي جاءت بمشروع الإصلاح والهداية والتغيير للأمة. ويعمل الإمام في بناء هذه المفاهيم على بلورتها قرآنيا ودينيا وعرفانيا، كما أنه يستشهد عليها من وحي مسيرة الأنبياء والأولياء،

([1]) تصدير الثورة من وجهة نظر الإمام الخميني .. مؤسسة تنظيم آثار الإمام الخميني.

وفي الوقت ذاته كان يسجّل بعمق ووعي وقوة نقوداته الفكرية والسياسية على مقولات سكونية مخملية صنعتها اليد الاستعمارية والاستكبارية للدين؛ تقصد بها تخدير الأمة والسيطرة عليها، والعمل على إخراجها من مواقع التأثير الحضاري والمعرفي والنهضوي، فكانت نشاطات الإمام التصحيحة لمفهوم الدين وموقعه ودوره في الحياة، هي الأخرى معركة تغييرية لكن ذات طابع فكري يخدم الإطار الثوري.

كما أنه عرّج نظره على ما أطلق عليه في الوسط الديني "بطبقة المتحجرين" الذين يتوافقون في النتيجة مع المشروع العلماني في فصل الدين عن السياسة، وتأطيره في الدائرة الفردية والروحية، وإن اختلفا في المنطلقات والأهداف، فالمتدين المتحجر يتحرك من وازع الخوف اللاواعي على تشويه الدين بإقحامه في الدوامة السياسية الملتبسة والمتغيرة، والعلماني ينبعث من واقع النظرة الضيقة للمنظومة الدينية وطبيعة مساحاتها، المتأثرة من هجمات الغزو الثقافي وقصفه الفكري والسياسي ..

يتميز الإمام الخميني قدس سره في تشييده لمقولة الدين ودوره الإحيائي، بفرزه الواضح بين تيارين، الأول منهما هو التيار التغريبي الذي ينتمي إلى مرجعيات فكرية منفصلة عن التراث الإسلامي ومنابعه الأصيلة، والثاني هو التيار الإسلامي الذي يتوفر على معرفة شاملة عميقة بالدين وعلومه

المتنوعة ومساحاته المتعددة([1]).

٦/ القراءة النهضوية للتاريخ

واحدة من المكونات الرئيسة في بناء المشروع الاحيائي للإمام الخميني قدس سره، هو فهمه الإسلامي لمسيرة أهل البيت(ع) وتاريخهم السياسي، فالكثير من العلماء والمفكرين بذلوا جهودًا متظافرة في قراءة التاريخ لأهل البيت(ع) واستنطاق سيرتهم المعصومة؛ من أجل تأصيل المفاهيم الدينية والعقائدية والإيمانية، وتحريكها في الحياة الإسلامية العامة؛ بوصفهم عليهم السلام امتدادًا للنبوة على المستوى المعرفي والحركي والروحي. لكن الكثير من هذه القراءات الفكرية للتاريخ والسيرة، غاب فيها البعد النهضوي والحركي، وضاع في غمرة البعد المعنوي والعلمي لشخصياتهم المقدسة(ع)، لدواعٍ متعددة([2])، من أبرزها: تعاقب تيارات فكرية متعددة، كثفت تناولها لأهل البيت(ع) في الإطار المعنوي والعلمي ولم تركّز نظرها على البعد السياسي والاصلاحي، لأسباب متنوعة، منها، أنها كانت تحت الظلم السياسي الذي أبعدها عن الالتصاق بإدارة المؤسسات والأجهزة، فلم تكن بحاجة آنذاك إلى المفاهيم النهضوية التي تمولها في إدارة التجربة، فتراكم هذه الحالة واستمرارها أدى إلى تكوين نمطٍ فكري خاصٍ في قراءة التاريخ، شكّل هذا النمط خلفية راسخة في فهم المسيرة السياسية لأهل البيت

([1]) الاحياء، الإصلاح، النهضة .. قراءة في فكر الإمام الخميني قدس سره.

([2]) إنسان بعمر ٢٥٠ سنة.

وتصويرها بطابعها المعنوي والعلمي فقط.

في هذا الإطار لم يقبل الإمام الخميني قدس سره أن تختصر القراءة الفكرية للتاريخ في إطار الفضائل الروحية والمناقب العلمية، بل قام بتكوين رابطة وثيقة بين بعد البشري لشخصيتهم والإلهي هذا من جهة، ومن جهة أخرى سعى إلى اكتشاف مقاصدهم وحلولهم للقضايا المجتمعية والسياسية، في ضمن منهج يهدف إلى استلهام القيم والمبادئ الصالحة لتغيير الواقع وبنائه بناءً إسلاميا رصينا في كل آفاقه ومجالاته في ضوء أهداف القرآن الكريم.

واحدة من منتجات قراءة الإمام النهضوية للتاريخ، هي فهمه لرسالة الرسول(ص)، وحقانية الأمير(ع) وعدالته، وصلح الإمام الحسن وشهادة الإمام الحسين(ع)، والحركة العلمية للإمام الباقر والصادق، من منطلق نهضوي اجتماعي سياسي، حيث يرى في مسيرتهم الحركية ثورة على الظلم، وتقويما للانحراف السياسي، ورفضا للخضوع للظالم، واهتمامًا بارزاً بقضايا المسلمين، وتحقيقا للعدالة الاجتماعية، فحياتهم الجهادية(ع) تضج بكل هذه المعاني الثورية والحركية في نظر الإمام الخميني قدس سره.

وفي السياق نفسه يرفض الروايات التي تحث على موادعة الظالم ومسايرته، بما يعني الانسحاب من ساحة النضال والكفاح، ورفض المقاومة والمواجهة؛ لأن هذه الروايات تتضارب مع المنطق القرآني الذي كرر بشكل متعدد ومتنوع تجربة الصراع بين الحركة الموسوية والنظام الفرعوني؛ لفلسفة مدروسة تهدف إلى تكريس ثقافة الثورة ضد الجور والطغيان، التي هي من عمق التوحيد القرآني لله القائم على اختصاص العبودية له والاستسلام

لإرادته، إلى جانب وضع المداميك الأساسية لمواجهة المستضعفين لمشروع الاستكبار والطاغوت([١])، كما إنها تتعارض مع الروايات الكثيرة المناهضة للظلم وأعوانه([٢]).

والتقية في كل الأحوال لا يمكن أن تكون في الرؤية الشيعية الحية تجميدًا للمشروع والحركة والصيرورة، بل هي تحويل العمل من دائرة الضوء إلى دائرة غائمة بالنسبة للعدو، حتى تتحرك القضية الإسلامية في مسارها الطبيعي، وتتحد المقدمات بالنتائج([٣]).

٧/ القرآن والحركة الإحيائية

نتيجة تجذّر الفكر العرفاني في الأبعاد الوجودية لشخصية الإمام الخميني، كانت قراءته للقرآن الكريم واستلهامه من قيمه ومعانيه تعبّر عن إحدى تجلياته ومظاهره الروحية، حتى قال الإمام الخميني: أن أعظم معاجز القرآن، هي المعارف العرفانية العميقة التي احتضنها بين دفتيه([٤])، وكان تشكل حقيقة الرسالة والنبوة والإمامة.

ودخل تفسيره لحقيقة القرآن الإلهية في ضمن رؤيته للوجود وعوالمه وتنزلاته، فللقرآن – في تصورات الإمام العرفانية– وجود عقلاني ملكوتي

([١]) صحيفة النور: ج٢.

([٢]) الحكومة الإسلامية وولاية الفقيه.

([٣]) الحركة الإسلامية .. هموم وقضايا.

([٤]) المظاهر الرحمانية.

بسيط، تنزّل إلى الوجود البرزخي المثالي، ثم تنزّل بواسطة جبرائيل إلى قوالبه اللفظية ذات الطابع الوحياني.

فما هو في العالم الإلهي الأعلى هو الحقيقة السامية((وكتاب مسطور)) الذي تقصر أيدينا عن الوصول إليه، لكنه تنزّل بعد ذلك إلى الوجود البرزخي، وصولا إلى المرحلة الحسية والمادية([1]).

لكن هذه النزعة العرفانية الفاقعة اللون لدى الإمام، لم تجعله يحكر النور القرآني في الإطار الروحي والتأملي للفرد، بل أدخله في ضمن معادلاته الثنائية الحيوية الثابته القائمة على العلاقة الجدلية المتبادلة بين عالم الغيب والحس، حيث وظّف الإمام مفاهيم القرآن ومعارفه في التجسير بينها وبين الواقع المتحرك للإنسان، ليكون القرآن حاضرًا في ثورة المجتمع وبناء الأمة؛ يبدي لهما الحلول الإسلامية الحية لتحديات الواقع ومشكلاته.

لقد شكّل القرآن الكريم مادة خصبة لخطابات الإمام الخميني الثورية والسياسية بوصفه المرجع الأساس للمنظومة الإسلامية، فكان يرسم منه مسار الحركة وسننها وقوانينها وآليات اتصال بغيبها وملكوتها، لتستمد منه القوة المعنوية الخلاقة والفاعلة.

وما يجدر الالتفات إليه، أن الإمام الخمينيﷺ تجاوز في تعاملاته الروحية والمعرفية مع القرآن طريقة التفكير المدرسي والتقليدي الذي يعتمد

([1]) أفكار ورؤى للإمام الخميني.

على الأساليب البلاغية والبيانية، عبورًا به إلى مقاصده وأهدافه التي تتمحور حول إحياء التوحيد الروحي الخالص، وإقامة العدالة الاجتماعية، وتنفيذ الأحكام الإلهية([1]).

٨/ القيامة الإحيائية ومنطق الحركة بين النظرية التوحيدية وموازين المادة ... مطالعة في نظرية التكليف الإلهي وفق المفهوم الخميني

تختلف الاتجاهات التحررية والتغييرية في منطق تحديد المواقف، ونوع الإمكانات، وطبيعة القدرات اللازمة التي تحتاجها للدخول في التجربة النهضوية وتحدياتها المتنوعة والمعقدة، تبعا لاختلافها في الانتماء الأيديولوجي والفكري، الذي عادة تبرز فيه الفوارق بين المدرسة الإلهية والعقل المادي من حيث الدوافع، والمديات، والأهداف.

الإمام الخميني كانت واحدة من إبداعاته العرفانية والقرآنية في تحديد المنطلقات الدينية للنهوض والإحياء، والتي كان لها الدور البارز في توفير المناخات الإيجابية لمحركات الثورة وقيامتها الإسلامية، هي أن يكون العمل الإسلامي في أبعاده الثورية والسياسية والاجتماعية ليس منطلقا من حسابات المادة وتوازنات القوى، بل يكون خاضعا لمستدعيات التكليف الإلهي.

والإمام كشف عن هذه النظرية ودورها المحوري في عمل الأنبياء والأئمة من وحي القرآن، والحديث، والتاريخ، كما أنه عمل تكوين معالمها

([1]) الاحياء، الإصلاح، النهضة .. قراءة في فكر الإمام الخميني.

واقتطاف آثارها ولوازمها في الحركة الثورية والإصلاحية والبنائية.

من أبعاد هذه النظرية الإسلامية، هو أن يقوم الإنسان الرسالي المؤمن على تشكيل عمله وحركته وفق متطلبات الحكم الإلهي في ساحات الصراع بين قوى الحق والباطل، من دون أن يراعي النتائج من الهزائم والخسائر والأرباح والانتصارات؛ لأنها ليست داخلة في ضمن تحديد التكليف وتشخيص أطره في مواجهة التحديات والمخاطر التي تحيط بالإسلام والأمة والمجتمع.

والإمام في خطاباته الاجتماعية وتنظيراته الفقهية للمسألة الإسلامية، كان يكتفي بتوافر احتمال بسيط للأغراض العقلائية لتحقق المحركات الدينامية للتكليف الإلهي فيما يتصل بالعمل الحركي والسياسي، بل يذهب إلى ضرورة توليده بالحركة والنهوض والقيام، وهذه لها نظائرها الكثيرة في منجزات الإمام الفقهية والحركية، فهو يذهب إلى وجوب تهيئة الممهدات اللازمة والفرص الكافية لإقامة الحكومة الإسلامية، من دون الانتظار السكوني الجامد لتوفرها لوحدها، فهذه المقدمات اللازمة هي أقرب إلى نسق الطهارة التي يجب تحصيلها للصلاة، وأبعد عن نمط الاستطاعة التي لا يقع على عاتق الإنسان الملتزم بالشريعة شيئا تجاهها لوجوب الحج عليه، مالم تتوفر هي بشكل تلقائي لوحدها. كما أنه يؤكد في فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على وجوب أن يقوم علماء الدين بمناهضة الظالم الجائر المستبد، عندما يكون سكوتهم موجبا لتقويته وهيمنته وتجذره، حتى لو لم يكن فعلهم السياسي والثوري هذا مؤثرًا في تعطيل ظلمه وتجميد طغيانه.

فالإمام بهذه التصورات والتنظيرات يسعى إلى بناء روح الاقدام والمبادرة لدى أبناء الإسلام المحمدي الأصيل في تشكيل النشاطات التعبوية للإطار الإسلامي على مستوى المشروع والموقف والدور، ويبحث عن العوامل الناقلة لهم من موقع الجمود والانفعال والتلقي، إلى موقع الفعل والحركة والتأثير.

كما أنه لا يقبل بأن تكتفي محددات التكليف الإلهي برصد معطيات الحالة الفعلية الراهنة، بل على الحركات الثورية والنشاطات الإسلامية أن تذهب إلى ناحية استشراف المستقبليات القادمة، وتقوم بتحديد التكليف الإلهي فيها وفق المصلحة الإسلامية العامة من الآن.

وعلى الصعيد نفسه، يؤكد الإمام في بعض خطاباته ومواقفه إلى أن الأصل الإسلامي القويم ،هو مقارعة الظلم ومقاومته، ولا يمكن للإنسان المنتمي إلى الشريعة أن يجمدها تحت طائلة العناوين الثانوية مادام لم يصل إلى الحالة القطعية الجازمة بفقدان الثمرات الإسلامية المرجوة ولو في الفترات المستقبلية القادمة، بل في القضايا الحساسة والخطيرة التي تعرّض الإسلام للانمحاء والزوال، لا يعتنى بالهزيمة حتى لو كانت ناجزة واضحة، مستلهما لهذا التصور الإسلامي من وحي الموقف الحسيني الذي كان يجزم عليه السلام بوقوع الخسائر والشهداء والضحايا على المستوى العسكري، لكن كانت في نهضته وثورته إحياءً الدين في الضمير الإسلامي العام.

ويستشهد لهذه النظرية بالعديد من الآيات، مثل : ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾، ﴿وحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ

كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾، ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾.

وفي ظلال المنطق القرآني، يذهب الإمام الخميني إلى أن التكليف الإلهي بالثورة ضد الصنميات المادية والبشرية، والنهوض لصالح تكريس العبودية الإلهية ليس مرتبطًا موضوعه بالتحقق الجماعي، بل إن التكليف يأخذ طوره الانحلالي على عدد الأشخاص بشكل حيادي، ويكون متحققا في عهدة كل فرد فرد، فالنبي إبراهيم(ع) حطّم الأصنام لوحده؛ مستعينا بالإرادة الإلهية المقدسة، والنبي موسى جاءته الأوامر الإلهية بالقيامة الثورية ضد النظام الفرعوني للوهلة الأولى لوحده ..

هذه النظرية الإلهية الحية لعبت دورها المؤثر في تجارب المقاومة الإسلامية، التي صنعت الملاحم والبطولات والتضحيات، كما أنها رفعت الكثير من الحمولات النفسية الضاغطة على القوى الثورية الحية، بفعل تكاثف الهواجس على الإنسان عندما يرى جبهته مفتقرة للإمكانات المادية والأرضية، وبسبب تفاقم المخاوف في الإنسان عندما يجد موقفه فاقدًا للدعم السياسي والبشري، لتأتي هذه النظرية الإلهية وتزيل روح الهزيمة والاحباط، وتحيي في نفس المقاوم الإلهي روح الإرادة الصلبة والعزيمة الراسخة.

فالقوة والنصر والغلبة في فلسفة التكليف الإلهي بمبادئها التوحيدية ليست في العدد ولا العدة ولا الوصول إلى الأهداف السياسية الملموسة، بل النصر الحقيقي بحسب الرسم القرآني ونظرته لساحة الصراع الوجودي بين الحق والباطل، هو أن تنهض القوى الإيمانية الحية مستجيبة للنداء الإلهي،

مستندة إلى المدد الغيبي، مستعدة لتقديم أروع أشكال الفداء والإيثار في سبيل القيام الرباني ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ﴾، وتكون نتيجة العطاء السماوي هو الثبات والرسوخ في ميدان المعركة ﴿وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

فالدفاع عن الدين، والكفاح في سبيل المستضعفين، هو تجارة توحيدية مع الله ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، ولا سبيل للهزيمة والخسارة في معادلات الفيض الإلهي، بل كما يشير الإمام الخميني: أن الإنسان في حركته النهوضية الصادقة للدين، يعيش من بداياته في ظلال الرعاية الإلهية، والعناية الربانية التي تُحدث في النفس الطمأنينة المعنوية، والسكينة الروحية؛ لأنه اندفع في المعركة بضمير إلهي يملا ذاته، وانطلق في صراعه مع الباطل متصلا بالقدرة الأبدية اللامتناهية([1]).

فالعقيدة التوحيدية النابضة بالإيمان والحيوية، تشكل طاقة حركية وثورية لا تعرف النفاد ولا التراجع ولا الانهزام في سبيل الله، وتموّل الإنسان بالقدرة الروحية والمعنوية على الديمومة والاستمرار في عالم الصراع؛ انتصارًا لمبادئ السماء وقيم الفضيلة.

([1]) صحيفة النور: ج٤.

وهذا المعنى لم يبقَ الإمام الخميني منظّرًا فيه فقط، بل صاغ ثورته وحركته من وحيها العرفاني، فالإمام الخميني في نهضته كان المعسكر الشرقي مهيمنا بكل قدراته على المنطقة، والمعسكر الغربي مسيطرًا بكل إمكاناته على العالم، والإمام ينطلق في ثورته المباركة، وهو يرفع شعار (لا شرقية لا غربية)، وشاءت القدرة الإلهية أن تكون معيتها لصالح المؤمنين الصادقين، وأراد العطاء الإلهي أن يكافئ المضحين الذين نهضوا لأداء تكليفهم الشرعي بالنصر.

الإمام الخمينيقدس سره من العلماء والعرفاء الذين لم يكتفوا في تطلعاتهم الدينية وهمومهم الإسلامية بالمساحات الجزئية المحدودة لحاكمية الدين، ولم يشأ في قرارة نفسه وإيمانه ومبادئه أن يكون الإسلام الذي هو صانع الإنسان، لم يشأ أن يكون ذلك الدين رقمًا مهملا، بحيث تمر المخاضات الصعبة والتحديات العسيرة، ويكون دوره هامشيا في حسابات الوجود وحركة الحياة.

فكان الإمام الخميني من رجالات الله الذين ساهموا في تغيير مجرى التاريخ وإعادة الإسلام إلى واجهة الحياة والحضارة، ليكون طريقا للإنسان إلى معدن الجمال والكمال.

اليوم الإمام الخميني نجد أن مشروعه وخطاباته وأهدافه ليست ظاهرة مرحلية منتهية، بل هي روح يقظة لا زالت تجري في جسم الأمة، تمدها التجدد والحياة والفاعلية، حتى يتمكن من الصمود أمام منعطفات الواقع المتنوعة، ويدخل في صنّاع التأثير والفعل والبناء، فهو رضوان الله عليه باقٍ

ببقاء الإسلام حيًا، ناهضًا، مؤثرًا.

حوار مع

سماحة آية الله

الشيخ محمد هادي معرفة (ره)

ترجمة وليد محسن

حوار مع سماحة آية الله الشيخ محمد هادي معرفة[1]

مجلة الحوزة: نشكر سماحتكم لقبول إجراء هذا الحوار معنا، في البداية حبذا لو تبينوا لنا العوامل والعلل التي ساعدت على التأثير العميق للإمام في النجف الأشرف وبروزه العلمي والفقهي فيها بالنظر للمكانة العلمية والفقهية المتميزة التي كانت تتمتع بها النجف ومع وجود أساتذة كبار لدرس الخارج آنذاك:

---

(١) سماحة آية الله الشيخ محمد هادي معرفة، ولد في كربلاء المقدسة سنة ١٩٤٢م وبدأ دراسة العلوم الإسلامية عند والده، ثم استمر في دراسته حتى نهاية دروس السطوح وقسماً من دروس خارج الفقه ودورة كاملة في الأصول محضر الأستاذ الشيخ يوسف البيارجمندي الخراساني. ثم انتقل إلى مدينة النجف الأشرف ودرس الفقه والأصول في محضر أساتذتها وفقهائها العظام: آية الله العظمى السيد الحكيم، وآية الله العظمى السيد الخوئي، والشيخ الحسن الحلي، والميرزا باقر الزنجاني، والعلامة الفاني، والإمام الخميني رضوان الله عليهم. ثم انتقل إلى مدينة قم عام: ١٣٥١هش ودخل حوزتها العلمية ودرس الأصول لفترة معينة في محضر الأستاذ آية الله الميرزا هاشم الآملي.

وقد تصدى سماحته لتدريس السطوح العالية في هذه الحوزات، ويعد أحد أساتذة خارج الفقه والأصول في حوزة قم العلمية.

ألف سماحة آية الله معرفة كتباً مهمة، منها: التمهيد في علوم القرآن، حديث لا تعاد، ولاية الفقيه، تحقيق وتعليق شرح تبصرة الحاج آقا ضياء العراقي.

الأستاذ: منذ البداية وحتى قبل أن تبدأ حركة الإمام كنا نسمع في النجف أنهم كانوا يطلقون عليه اسم (خوئي قم). وبعد أن بدأت حركة الإمام ونهضته خاصة في سنة ١٣٤٢هش، أيده الكثير من الطلاب والفضلاء حتى أن بعضهم كان يعترض على المدرسين أثناء الدرس، بأنكم لماذا لا تؤيدون حركته ولماذا لا تعترضون، وغيرها. حتى أني قلت للأستاذ في أحد الدروس: إنكم ستدفعون ثمن سكوتكم، وقد تجرأت كثيراً على هذا الأستاذ الذي لا أريد ذكر اسمه لأنه قد توفي الآن. وقد كان البعض متعطشين للقائه والتحدث معه عن قرب، وأخذ عددهم يزداد يوماً بعد يوم آخر، حتى أني أعتقد أن إبعاده إلى النجف كان أحد الألطاف الإلهية الخفية. وقد تحدثت للطلاب أثناء الدرس مراراً حول هذا الموضوع، لماذا؟ لأنه كان من المقرر ظهور حركة عظمية على مستوى العالم، ترتبط بشخصية الإمام خاصة في جانبها الفقهي المتميز، حيث كان يترشح من هذا المقام الفقهي معنى الولاية. وقد بدأت هذه الحركة فعلاً وأيدها الناس والعلماء، وإلاّ لا يمكن أن نتوقع من الناس العاديين موقفاً مؤيداً للحركة حتى لو كانوا يتحلون بالشجاعة ويعلمون بماهية الحركة، خاصة أولئك الأفراد الذين يرون لنفسهم مكانة علمية مرموقة؛ لذا ينبغي التعرف على شخصية الإمام وأبعادها من لسان الأشخاص المؤيدين له والذين كانوا يرغبون بمساعدته ونصرته أو كانوا يهدفون أساساً ويتمنون المشاركة في نهضته وحركته؛ لأن المحقق الجامعي أو المحقق الحوزوي يختلف عن عامة الناس؛ في كونه لا يظهر تأييده أمام الشخص ما لم يطمئن منه؛ لذا كان لحضوره في الحوزة دور كبير في جذب

العديد من الفضلاء نحوه سواء من العرب أو العجم، حتى أني شاهدت الكثير من الشخصيات العلمية العربية كانت تلتقي به أثناء فترة إقامته في النجف وتكن له الكثير من الاحترام والإجلال كمريدين لشخصيته، رغم أنهم كانوا لا يبدون مثل هذا الإجلال حتى لعلمائهم. نعم، لقد ترك حضوره في النجف تأثيراً كبيراً، بحيث جذب إليه العديد من الفضلاء والشخصيات العلمية وأيدوه بشدة وكانوا يتعاملون معه كتلامذة مطيعين لأوامره، رغم ما كانت تتميز به مدينة النجف آنذاك من مكانة علمية مرموقة وأنها تزخر بالعلماء والمحققين الكبار. والسبب في ذلك يعود لما كانت تتميز به شخصيته العظيمة من خصائص وصفات عالية سواء على المستوى العلمي أو على مستوى القيادة والتوجيه بشكل جذب إليه العالم بأسره. وحسب رأيي كانت هذه أبرز صفاته وخصائصه، وأنا عادة ما أدقق كثيراً في خصائص الشخصيات المهمة وأسعى بجد واهتمام إلى فهمها وتحليلها. وقد ذكرت لأصدقائي هذه المكانة العلمية للإمام منذ بداية حضوره في النجف، وبعد أن طلب البعض منه أن يبدأ درسه، إقترح سماحته هل نؤكد في الدرس على القواعد أكثر أم على الروايات ونقل الأقوال؟

فأجاب أغلب الحاضرين بضرورة التركيز على القواعد، أي كما فعل الشيخ في كتاب المكاسب؛ لأن سماحته كان قد بدأ درسه بكتاب البيع. ومنذ ذلك الوقت أوجد تحولاً كبيراً في النجف الأشرف، أو على الأقل أحدث تحولاً كبيراً في نفوسنا مما زاد من تعلقنا بشخصيته يوماً بعد آخر وقد كانت مسألة طرح أقوال وآراء العلماء في الفقه تعتبر آنذاك أمراً مقدساً لا يمكن

تجاوزه إذا كانت شخصية الفقيه تؤثر في آراء الآخرين، وهذا الأمر أخرج الفقه من صيغته التحقيقية إلى صيغته التقليدية كما كان متعارفاً في الماضي، حتى أن الفقهاء كانوا يقولون:

بعد الشيخ، وحتى قبل ابن إدريس، كان الفقه يدرس بصورته التقليدية، لكن هذا العالم العظيم جاء وأخرج الفقه من هذا الإطار وبدأ بمسألة التحقيق، فالكلام هو كلام المرحوم آقا ضياء أو كلام المرحوم النائيني، أو كلام الشيخ حبيب الله الرشتي، أو المرحوم الفشاركي الأصفهاني، أو الميرزا أو الشيخ، وقد أدى نسبة القول إلى قائليه إلى إيجاد نوع من القدسية عليه، بحيث كان الطلاب من أمثالنا لا يتجرؤون على نقض كلام هؤلاء الفقهاء العظام أو مناقشة آرائهم أو التحقيق حولها. وهنا يظهر دور الصفة التي تميز بها الإمام في هذا المجال، إذ تمكن من كسر هذه القدسية وعمد إلى مناقشة آراء العلماء وطرح الإشكالات عليها، وبيّن للمحققين والفقهاء أن احترام العلماء إنما يكمن في مناقشة كلامهم والتحقيق فيه، وإلا لا أحد يهتم بكلام الناس العاديين، مما يتطلب كسر هذه القدسية لكلام العلماء العظام.

فلو افترضنا أن شخصاً غير معروف بعلمه ومكانته الفقهية قد طرح رأياً ما، فإن كلامه لا يترك تأثيراً مهماً في أي مكان، مما يعني أننا عندما نناقش كلام العلماء ونشكل عليهم، فإنما هو من باب الاحترام لمكانتهم العلمية فلا ينبغي حينئذ إغلاق باب المناقشة والإشكال على كلامهم وآرائهم. وخلاصة القول إن الإمام كان يمتلك الجرأة والشجاعة الكافية التي مكنته من فتح باب مناقشة كلام العلماء، وأن يبين الحق والحقيقة كما هي، فأحيا بذلك باب

الاجتهاد الذي يصفه المذهب الشيعي وفقهاء الشيعة بأنه مفتوح دائماً، فاستحق الإمام بهذا العمل كلّ التقدير والاحترام. إن هذه الشهامة التي تميز بها الإمام والتحول الذي أوجده في تلامذته، كانت من أبرز صفاته وخصائصه العلمية.

الحوزة: نرجوا من سماحتكم أن تبينوا لنا أهم الخصائص التي تميز بها الإمام في مسألة القيادة.

الأستاذ: أما الخصائص التي تميز بها في مسألة قيادة العالم الإسلامي فهي: الصلابة، والقاطعية والتأثير؛ أي تهيئة الأفراد للقبول والموافقة. فالإنسان عندما يختار رأياً معيناً سواء كان رأياً علمياً أو سياسياً أو اجتماعياً، فإنه يكون مسبوقاً عادة بتفكير عميق ودقيق ومناقشة جميع جوانبه وتأثيراته؛ لذا يكون هذا الرأي عنده رأياً قوياً وثابتاً كالجبل الشامخ؛ أي يتميز بالقوة والصلابة، مما يعطي لهذا الشخص القاطعية في رأيه. فهو يفكر حتى في تأثيراته المستقبلية عند طرحه على الناس وكيف سيتعاملون معه، ومن يفكر بهذا الرأي بمثل هذه الدقة ويبحث جميع جوانبه، سيصل إلى القطعية والحتمية في اتخاذه، بحيث لا يتأثر عند التشكيك فيه، ولا يتراجع عنه حتى لو اجتمع على ذلك جميع الناس في العالم. فمثلاً حضرتكم آمنتم أن محمداً (ص) هو نبي الله، وقد اتخذتم هذا الرأي في هذه المسألة، فلن تتراجعوا عن رأيكم حتى لو اجتمع جميع الناس على التشكيك فيه، بل ولا تشكون فيه أبداً، لماذا؟ لأنكم لم تتخذوا هذا الرأي تحت تأثير المجتمع أو لأن والديكم كانوا يفكرون بهذا الشكل، بل اتخذتموه بعد تفكير طويل وتمحيص وتدقيق فيه. لقد كان الإمام

هكذا في اتخاذ آرائه في المسائل المختلفة، بحيث لا يتراجع عنها خطوة واحدة حتى لو اجتمع الثقلين على عكسه، لأنه لم يتخذ هذا الرأي إلاّ بعد تفكير وبحث طويل.

الصفة الثالثة التي تميز بها الإمام هي قدرته الفريدة في تربية الإنسان وتهذيبه، أي قدرته على تهيئة الناس وأفراد المجتمع للقبول بكلامه.

في سنة ١٣٤٢ لم أكن في قم، لكن سمعت ممن يقول: عندما كانت تنطلق المظاهرات في قم كان الناس يغلقون محلاتهم وأبواب بيوتهم بوجه الطلاب أثناء هروبهم للاختباء، لكن عندما بدأت هذه النهضة العظيمة ضد الشاه كنت حينئذٍ في قم وشاهدت بعيني كيف كان الناس يفتحون أبواب محلاتهم وأبواب بيوتهم لإخفاء الطلاب الهاربين بعد المظاهرات.

وفي الزقاق الذي كنا نسكن فيه رأيت كيف كان الناس يقفون أمام أبواب بيوتهم استعداداً لاستقبال الطلاب الهاربين وإخفائهم داخل البيوت. وقد حدث هذا التحول في فكر الناس خلال ١٥ عاماً، حتى المنشورات والبيانات التي كان يصدرها الإمام كانت توزع بأيدي الناس فكانوا بمثابة المبلغين لنهضته.

إن كلّ مصلح عظيم عندما يريد تطبيق فكره في المجتمع يحتاج إلى تهيئة الظروف اللازمة لذلك، فالمرحوم المدرس كان يمتاز بالصلابة والقاطعية، لكنه كان يفتقد لفن تهيئة الظروف اللازمة لإنجاح الفكرة، أو أن أرضية الظروف آنذاك لم تكن مهيئة ممكنة، أو افتقد الأنصار والمؤيدين الذين يساعدونه في تهيئة تلك الظروف اللازمة، حيث عندما كان يتحدث مع

بعض الشخصيات المهمة، لم يعتنوا بكلامه ولا يتفاعلون معه، على عكس الإمام كان لا يهتم بمثل هؤلاء ولا يعدهم من البشر حتى. والخلاصة أن هذه الصفات الثلاث كانت السبب وراء موفقية الإمام على المستوى العالمي.

الحوزة: كان الجميع يشعر أن وفاة الإمام ستترك فراغاً عظيماً سواء في قيادة المجتمع والعالم الإسلامي أو في التحولات الفكرية والحوزوية والفقهية، لكن العمل الصحيح يقتضي أن تبذل جميع الشخصيات الفكرية المؤثرة في المجتمع أقصى جهودها في سبيل ملأ هذا الفراغ قدر الإمكان. باعتباركم أحد تلامذة الإمام وممن يعرف أفكاره وأصوله، فحسب رأيكم ما هو نوع الخطوات والمساعي التي ينبغي اتخاذها لملأ هذا الفراغ؟

الأستاذ: أود أن أخبركم أنه بعد وفاة الإمام، طرحت مسألة الفراغ العظيم الذي سيتركه هذا الحدث في المجتمع، وهل ينبغي سد هذا الفراغ أو لا؟ الجواب: حتماً يجب سد هذا الفراغ، وإلاّ ستفقد الثورة قدرتها على الاستمرار. وإذا ما أردنا الانتظار حتى يظهر رجل عظيم كالإمام فعلينا الانتظار لعشرات السنين أو لعدة قرون حتى يخرج التاريخ لنا مثل هذه الشخصية، وهو ما يطلقون عليه بفلتات التاريخ، يعني أن التاريخ يخالف أحياناً حساباته وقواعده ويخرج لنا مثل هذه الشخصيات، كما كانوا يقولون عن أمير المؤمنين (عليه السّلام) أنه كان فلتة تاريخية؛ أي أن التاريخ أخطأ في حساباته فأخرج أمير المؤمنين في ذلك الزمان. فهذه الشخصيات كانت من فلتات التاريخ، لكن هل يمكن التقليل من تأثير فقدانهم بنحو معين؟ نعم، من جهة

أن الإمام قد رحل عنا حتماً بشخصيته الحقيقية، لكنه من جهة أخرى قد تمكن سواء قبل الثورة أو بعدها من تربية الكثير من الأفراد والشخصيات، وترك بينهم فكراً وبرنامج عمل معين واتضحت لهم أهدافه وما كان يسعى لتحقيقه والآية الشريفة تقول: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)، وكلمة شهداء في القرآن تعني المسؤولين وليس القتلى في سبيل الله.

وجاء في بعض الروايات أن تفسير (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً) يعني أئمة، فتفسير هذه الآية بأنها تخاطب حكام المسلمين، وأن الله تعالى يقول للقادة والزعماء والشخصيات المؤثرة في المجتمع: لقد أوليتكم رسالة مهمة وهي قيادة العالم نحو طريق العدل (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) وقد أراد الإمام تنفيذ هذا الأمر الإلهي وإفهامه للعالم أجمع.

وهذا هو حال الإسلام ومبادئه وحقيقته، وليس إسلام ما قبل الثورة الإسلامية في إيران الذي كان يطرح في العالم آنذاك بحيث عندما أرادوا طرح نموذج للحكومة الإسلامية، طرحوا الملك فهد والحكومة السعودية. وهذه الحقيقة كانت تظهر في المقالات واللقاءات الصحفية التي تطرح في السعودية باعتبارها نموذجاً للحكومة الإسلامية.

وقد أفهمت الثورة الإسلامية العالم كله أن هذه الحكومة ليست نموذجاً للحكومة الإسلامية، والنموذج هو ما نطرحه نحن اليوم وقد قبل العالم به، وفهم أن الإسلام السعودي ليس الإسلام الحقيقي، بل الإسلام المحمدي

(ص) هو ما تطرحه اليوم للعالم، ولحسن الحظ قد قبل به الصديق والعدو. لكن هل تمكن الإمام من إيصال هذه الفكرة إلى مؤيديه وأنصاره؟

أعتقد أنه تمكن من ذلك، وأوصل الفكرة إلى العلماء والفقهاء والشخصيات المهمة سواء من تلامذته أو من غيرهم، المؤمنين بعقيدته وفكره، وأوضح لهم ماذا كان يريد وما هو هدفه من الثورة.

فهل نؤمن حقاً بنهج الإمام وفكره، وهل نرى من واجبنا الشرعي الاستمرار على هذا النهج؟ وهل بإمكاننا فعل ذلك أو لا؟

حتماً يمكننا ذلك، لأن الإمام قد هيأ لنا طيلة هذه العشر سنوات جميع الإمكانات اللازمة لذلك، حتى أنه عمد إلى تحصين هذه الثورة من الأخطار المحتملة. ومن العجيب أن الإمام كان يشعر بقرب أجله، كما جاء في إحدى الروايات المسلمة عندنا أن المؤمن يشعر بقرب أجله قبل موته، حيث عمد الإمام إلى تطبيق بعض الأمور بسرعة كبيرة في الفترة الأخيرة من حياته، فلماذا فعل ذلك؟ لأن الإمام وحسب «المؤمن ينظر بنور الله» أحس بنهاية رسالته، فعمد إلى تحصين الثورة وهيأ لنا جميع الأمور اللازمة لذلك، فعبّد لنا الطريق ووضعنا في بدايته وقال لنا: سيروا على هذا النهج. إذن، نحن الآن نعرف أهداف الإمام وهي أداء رسالة الله في الأرض، لذا هيأ لنا جميع الإمكانات اللازمة لذلك وحصّن الثورة من التهديدات المحتملة، وبالتالي إذا ما قصرنا في ذلك نكون قد خنّا الأمانة.

وإذا ما أردنا التفكير بمصالحنا الشخصية الآن، نكون والله قد خنّا الإسلام وخنّا الله والإمام الحجة (عج)؛ لكن لحسن الحظ، قد أدرك مسؤولونا هذه

الحقيقة وفهموها جيداً؛ لذا أنا مطمئن تماماً أن المصالح الشخصية لن تطرح بعد الآن؛ لأن إخوان الصفا المؤمنون بنهج الإمام والذين هم من أتباعه الآن، قد أحسوا بهذا النهج وسيستمرون عليه إنشاء الله .

الحوزة: نرجوا من سماحتكم أن تتحدثوا لنا ولقرائنا الكرام عن بعض ذكرياتكم مع الإمام أثناء فترة دراستكم وحضور درسه؟

الأستاذ: سأخبركم ببعض الذكريات التي أثرت في تكوين شخصيتي. لقد كان من عادة الإمام أن يجلس في غرفة الاستقبال في منزله بعد صلاة المغرب والعشاء، فكان بإمكان أي شخص الوصول إليه والتحدث معه. بعد ذلك يذهب الإمام لحرم أمير المؤمنين (ع) ويبقى هناك إلى ٣ ساعات بعد الغروب، وكان دقيقاً في أوقاته بحيث لو أراد أحد تنظيم ساعته، فإنه إذا ما رأى الإمام في شارع الرسول قرب منزله متجهاً نحو الحرم المطهر لعلم أن الساعة الآن هي الثالثة، وعندما يخرج من الحرم يعلم أن الساعة ٥،٣٠، فكان هذا التنظيم وهذه الدقة في البرنامج اليومي أمراً تربوياً بالنسبة لنا.

وعندما كان الفضلاء العرب أو العجم يأتون لزيارته كان يسمح لهم بالبحث والمناقشة عنده، حتى أن البعض كان يقول أنه لم يكن لديه مثل هذا البرنامج في قم؛ مما يعني أنه بدأ هذا البرنامج في النجف الأشرف، بأن يسمح للحضور البحث والنقاش في الجلسة العامة. وكان أحياناً يشترك في البحث بشكل جدي ويسمح للآخرين من أمثالي في مناقشته، وكان يسكت إذا ما تحدث الآخرون ويستمع إليهم، ثم يشترك بالبحث ليس لإقناعنا بكلامه أو الخروج من البحث مثلاً، بل كان يناقش الموضوع بشكل جدي. فكان ذلك

من الأساليب التي ابتكرها في النجف وكانت مثار فخر واعتزاز بالنسبة لنا. وفي أحد الأيام مثلاً كنا نجلس حوله، إذ زاره عدد من الإيرانيين وجلبوا معهم حقوقاً شرعية من سهم الإمام وكان مبلغاً كبيراً آنذاك، وأرادوا إعطاءه المال في تلك الجلسة، وقالوا له: نريد أن نبني في منطقتنا مسجداً أو أنهم كانوا يبنون مسجداً، فهل تسمح لنا باستثمار قسم من هذا المبلغ في بناء المسجد، فرفض الإمام ذلك بشدة وحزم، وقال: أبداً، لا أسمح بذلك، حتى إنهم كانوا يتوسلون إليه الموافقة، لكنه رفض ذلك، رغم أن الإنسان في مثل هذا الظرف كان ليقبل ذلك خاصة عندما يتعلق الأمر بإعطاء المال، ثم قال: إن من شؤون المسلمين بناء مسجد لهم في منطقتهم.

إذن، كان الإمام يعتقد أن بناء المسجد يدخل ضمن شؤون حياة المسلمين، فمثلاً التربة التي تريد الصلاة عليها؛ ألا يفترض عليك شراؤها؟ فأنت الذي تريد الصلاة عليها لهذا يجب عليك شراؤها. فإذا ما كان المسلمون في منطقة معينة يحتاجون مسجداً، فلا يمكن إعطاؤهم مالاً من سهم الإمام لبناء هذا المسجد، وكيف أعطيكم من سهم الإمام لصرفه في إحدى شؤونكم الإسلامية والحياتية؛ وأخيراً رفض الإمام إعطاءهم المال. عندها قال: نعم لو كان الساكنون في المنطقة من مذهب آخر كالبهائية، فبناء المسجد فيها يدخل حينئذ ضمن التبليغ للمذهب والدعوة للدين، وبالتالي تختلف المسألة هنا وتصبح كأفعال الإمام الحجة. فكانت مثل هذه المواقف والمواضيع تتضمن صيغة تعليمية وتربوية بالنسبة لنا.

الذكرى الأخرى ترتبط بزيارة كربلاء، حيث كنت في أحد الأيام في

حرم الإمام الحسين (ع) بمدينة كربلاء، عندما حضر الإمام للزيارة، وكانت لكربلاء سبع زيارات خاصة في السنة وللنجف ثلاث زيارات خاصة. فكان الإمام ملتزماً بهذه الزيارات السبع إضافة إلى زيارة ليالي الجمعة وأحياناً لم يكن يتمكن من أداء الزيارة في ليالي الجمعة.

وكان الإمام أثناء الزيارة يجلس داخل الحرم مثل عامة الناس وينشغل بالصلاة والدعاء، أما بقية العلماء فلم يكونوا كذلك وإنما يكتفون بزيارة الحرم لعشر دقائق أو ربع ساعة كحد أقصى يصلون فيها ركعتين ويقرأون ما يحفظون من الدعاء ثم ينصرفوا، لكن الإمام كان يجلس مثل عامة الناس ويقرأ الدعاء في مفاتيح الجنان. وقد رأيته ذات مرة جالساً أمام رأس الإمام الحسين وهو مشغول بالصلاة وكان المتعارف عند أهالي مدينة بغداد توزيع الحلوى أو التمر على الزائرين، وكان الإمام جالساً وأنا بقربه وكان برفقتي ولدي أيضاً وكان صغيراً جداً آنذاك، فعندما قام أحد الزائرين بتوزيع الحلوى أخذ الإمام شيئاً منها ثم أعطاه بلطف شديد إلى ولدي لأن ذلك الشخص لم يقدم له منها؛ وهذا يدل على مدى دقته واهتمامه بمثل هذه الأمور. وأتذكر أيضاً أن بعض الإيرانيين كانوا قد قدموا للزيارة آنذاك، فقدّم أحدهم تربة للإمام وطلب منه الصلاة عليها للبركة، فلبى الإمام طلبه بكل تواضع واحترام وصلى عليها ركعتين ثم أعطاها للزائر الإيراني، فأعجبني هذا الموقف جداً، لأنه يبين عقيدة الناس بشخصية الإمام وقدسيته، وكذلك يبين اعتقاده بمثل هذه المسائل، فالناس يتصورون أنه شخصية جهادية وبالتالي قد لا يؤمن بمثل هذه الأشياء وربما يعتبرها من الخرافات، لكن بعد هذا الموقف اتضح أنه

يهتم بالروايات التي تحدثت حول هذه المواضيع ويعمل بها.

فالنبي الأكرم (ص) عندما كان يتوضأ لا يسقط من ماء وضوءه شيئاً على الأرض؛ لأن الصحابة كانوا يضعون أيديهم لالتقاط الماء والاستفادة منه للبركة، وقد أقرّ الرسول هذا العمل ونجد مثل هذه الأمور في تراجم الأئمة وسيرتهم، إذ كانوا يعطون بعض ملابسهم للناس للتبرك بها. كما ينقل التاريخ لنا أن شخصاً جاء للنبي (ص) وطلب منه أن يعطيه البساط الذي كان يصلي عليه لكي يتبرك به. فمثل هذه الأمور كانت موجودة سابقاً ولا تعد من الخرافات، وقد أقرّها الإمام (قدّس سرّه) ووافق على طلب الزائر بتواضع ولطف. وقد سررت جداً عند مشاهدتي هذا الموقف من الإمام.

الذكرى الأخرى: نقل لي أحد الأصدقاء أنه قام بتعريف الإمام لبعض الأفراد أثناء زيارتهم لمرقد العباس (ع)، فاستدعاني الإمام وهمس في أذني قائلاً: ما الداعي لذلك؟ إنما أقول ذلك لمصلحتك. فقلت: يا للمصادفة لقد وقعت مثل هذه الحادثة معي أيضاً، إذ عندما طلب مني الشيخ حسن كروبي أن أبدأ بترجمة كتاب ولاية الفقيه، قال لي إن الإمام أخبرني أنه لا ينبغي أن يعرف أحد بهذا الموضوع، وهذا إنما هو لمصلحتك لأننا لا نخشى أحداً. وخلاصة الكلام أن مثل هذا الاهتمام عندما يصدر من شخصية عظيمة يكون موضع فخر واعتزاز؛ لأن مثل هذه الشخصيات العظيمة التي تسعى لتحقيق أهداف عظيمة عادة ما تغفل عن مثل الأشياء الصغيرة، لكن صفة الاهتمام حتى بالأمور الجزئية والمسائل الصغيرة الموجودة عادة عند الأئمة المعصومين (ع)، قد لاحظتها في شخصية الإمام (قدّس سرّه) أيضاً. فرغم أنه

كان يفكر بأمور عظيمة لكنه في الوقت ذاته لم يغفل عن الاهتمام بدقائق الأمور والمسائل الجزئية، وهو أمر مهم جداً.

الحوزة: نرجوا من سماحتكم أن تتحدثوا لنا عن مؤلفات الإمام (قدّس سرّه).

الأستاذ: عادة ما يترك المؤلفون والمحققون مؤلفات وكتب كبيرة لكن هذه المؤلفات تنقسم إلى مجموعتين: بعضها يبقى خالداً والبعض الآخر سرعان ما يتعرض للنسيان والإهمال. ويكمن في هذه المسألة سرّ خاص، إذ أن المؤلف عندما يكتب كتابه فكأنه يقدم متاعاً خاصاً للناس، فإذا كان هذا المتاع ثميناً وذا قيمة مهمة، سيقبله المجتمع، لماذا؟ لأنه خضع لقانون العرض والطلب، هذا إذا كان المؤلف أو المحقق قد بذل جهداً كبيراً واستهلك وقتاً طويلاً في تأليف الكتاب وكان مؤمناً بما كتبه. فإذا ما أردنا بحث الموضوع ومناقشته من هذا الجانب نجد أن الإمام قد قدّم للحوزة والمجتمع كتابين خالدين سيبقيان جزءاً من الآثار الخالدة، رغم قيمة وأهمية كتبه الأخرى، وأحد هذين الكتابين هو كتاب البيع الذي كان ثمرة تحريره وكتابته لدرسه في باب البيع، حيث تضمن تحقيقاً وبحثاً واسعاً جداً، وناقش فيه آراء كبار العلماء والفقهاء، وتضمن تحقيقات مهمة واسعة جداً. وهذا ما يجب أن يكون عليه الدرس، فأنتم عندما تقرؤون كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري بصورة تحقيقية ستحصلون على نظرة اجتهادية في جميع أبواب الفقه، وهذا ما امتاز به كتاب البيع للإمام وكان بهذا المستوى الرفيع الواسع، مما جعله أحد الكتب الخالدة. الكتاب الآخر الذي سيبقى خالداً أيضاً هو كتاب تحرير الوسيلة، فما

كان يميز كتاب الوسيلة للمرحوم السيد أبو الحسن الأصفهاني عن كتاب العروة الوثقى هو أن العروة الوثقى كان كتاباً درسياً عادة ما يدون الفقهاء العظام حاشية حوله تمثل بياناً لمقامهم العلمي، ثم تطرح هذه الحاشية في دروس الخارج، لكن أغلب مسائلها لم تكن محل ابتلاء أي مجرد مسائل نظرية. أما المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهاني فقد جمع في كتابه الوسيلة المسائل محل الابتلاء، لكنه لم يوفق تماماً في هذا الموضوع، فبذل الإمام (قدّس سرّه) جهداً كبيراً في تهذيب هذا الكتاب وتكميل مطالبه؛ أي أنه كتاب تعاون في تدوينه فقيهان متبحران من الدرجة الأولى وبذلوا فيه جهداً عظيماً، الأول المرحوم السيد أبو الحسن الأصفهاني، والثاني الإمام الراحل (قدّس سرّه)، فكان هذا الكتاب ثمرة لجهد هذين العلمين في الفقه، ويمثل دورة فقهية جامعة وكاملة وسيبقى خالداً إنشاء الله.

استيعاب الوضع والكياسة السياسية:

آية الله الشيخ مصباح يزدي

حدثت مشكلة المجالس المحلية للمحافظات والمقاطعات عام: (١٣٤١هـ‌ش/ ١٩٦٢م) بعد وفاة آية الله البروجردي. في ذلك الوقت كان الإمام معروفا بكونه فقيها كبيرا وسياسيا مشهورا إذ كان ومنذ أيام شبابه – علاوة على دروسه العادية منها والرسمية والمشاريع العلمية- مهتما بالمواضيع السياسية، وكان يرى حضوره في النشاطات السياسية والإحاطة بالسياسة واجبا عليه .

في تلك البرهة من الزمان – أي وفاة آية لله البروجردي- كانت الدولة تنوي شن هجوم على الإسلام لتهريق دمه، غافلة عن أن الإمام والأمة سيقفون في وجهها ويحبطون سعيها، فشرع عملاء الكيان في القيام بأعمال لم يكونوا يستطيعون فعلها في حياة آية الله البروجردي . كانوا يحسبون أن لا احد بعد المرحوم قادر على منع تنفيذ نوايا الحكومة المشئومة، ومن ناحية أخرى كان أعضاء الحكومة قد بدؤوا محاولة قذرة لنقل المرجعية من قم إلى النجف.

لقد باشروا الدعاية ورسم خطة انتقال المرجعية، فتحكموا في وسائل الإعلام، وكانوا أحيانا يلعبون دور طفيليات وجواسيس النظام الحاكم، ويعلنون عن مراجع النجف .

إطلاق النار العشوائي هذا تحت جنح الظلام كان بسبب أن الدولة قد مشت في هذا الطريق على أسس من الخيالات والأوهام، حيث كانوا يظنون انه لن يكون بمقدور احد في قم بعد المرحوم البروجردي مواجهة الملكية. ولكي يختبروا تلك الخطة الخاطئة، فقد اقترحوا في البداية مشروع المجالس المحلية، وفي ظل هذا الاقتراح دمجوا في نصه مواضيعا لا يفطن لها الأشخاص العاديون والبسطاء ،فالناس العاديون لم يكونوا يدركون الخطة والهدف والغاية منها، إلا أن الإمام وبكياسته وفراسته وذكائه فهم بان هذا الأمر هو بداية لنهاية خطرة تحاك ضد الإسلام.

إحدى المواضيع التي أدغمت مع الطرح هو زيادة تغييرات مستهجنة في قانون الانتخابات، فمثلا تم حذف شرط الإسلام من شروط العضوية في البرلمان، إحدى التحولات الأخرى كانت الاكتفاء بأداء اليمين على أي كتاب سماوي بدل اقتصاره على القسم بالقران .

كان المرام من هذه التغييرات خلع الرسمية عن الدين الإسلامي وخفض مقامه لجعله مساويا للأديان الأخرى، كذلك الحال كان مع أداء اليمين على القران حيث كانوا يريدون أن يساووه بالقسم بأي كتاب سماوي آخر.

هذه الخباثات قد جذبت أنظار الإمام الرقيب والحكيم إلا أن مشروع القانون الجديد ما هو إلا نطفة لمقدمة مؤامرة عظيمة وشريرة ضد الإسلام، وعندما يكون المستهل هكذا، فستكون نتائج ذلك بالتأكيد أخطارا اكبر، لهذا السبب، نزل الإمام إلى ساحة المقاومة بحزم وثبات غير آبه بقلة المناصرين، هذه المقاومة كانت لأجل إجبار الحكومة على التراجع وإلغاء مشروع القانون

الجديد، وقد أخذت وقتا طويلا كي تؤتي ثمارها، ومع يقظة مراقب ومحام كالإمام فقد أجبرت الحكومة على التقهقر والانسحاب .

وفي أعقاب هذا الانسحاب (إلغاء مشروع القانون) وضعت الحكومة هذه المرة مخططا جديدا، فاقترحت (مشروع البنود الست والاستفتاء) أو ما يعرف بالثورة البيضاء، في هذه المرحلة، دخل الشاه بنفسه غاضبا ميدان المبارزة ضد الإسلام، وقام شخصيا بتقديم الثورة البيضاء بشكل رسمي وعرض تلك البنود الست –والتي تجاوز عددها فيما بعد الستة– في الاستفتاء.

كان الإمام الخميني يعلم منذ البداية أن أساس كل فتنة قامت وتقوم وفساد انتشر وينتشر هو نفس الشاه وقد عاين ذلك ورآه آنذاك ولذا حينما فاض ما في نفس الشاه وخرج إلى العلن، أي عندما قام الشاه ضد المقدسات وجيش الجيوش، هب الإمام ووقف في وجهه، حيث استهدف الإمام شخص الشاه واصدر ذاك البيان التاريخي والمعروف ب (ماذا تعني محبة الشاه؟) إذ كان الإمام يؤمن أن الشاه هو ام الخبائث ومنشأ المفاسد .

لنتعرف أكثر على أوضاع ذاك الزمان وهذه المسالة أدرجنا أدناه جزءا من بيان الإمام:

«إن هؤلاء يهينون المقدسات الدينية تحت شعار حب الشاه، حب الشاه يعني النهب، يعني هتك حرمة الإسلام والاعتداء على حقوق المسلمين والبغي على مراكز العلم والمعرفة . حب الشاه يعني غرس الحراب في جسد القران والدين، يعني حرق شعائر الإسلام ومحو الآثار الإسلامية، حب الشاه يعني سحق رجال الدين وزوال معالم الرسالة .

إن حضرات السادة المحترمين يدركون أن أصول الإسلام والقران

والدين في خطر، وفي ظل وجود هذا الاحتمال فان العمل بالتقية حرام وإظهار الحقائق واجب ولو بلغ ما بلغ. ولأنه لا توجد (محكمة) صالحة تستقبل الشكاوى في إيران بينما إدارة هذا البلد في جنون واضح، فإنني وباسم الشعب اطلب حضرة أسد الله علم رئيس الوزراء للمسائلة، بأي إذن قانوني هاجمت سوق طهران قبل شهرين ؟ بأي حق حبست جمعا غفيرا؟ بأي حق بددت ميزانية البلد على استفتاء مفضوح؟ ولما كان الاستفتاء بأمر من الشاه نفسه فبأي حق اجبرت موظفي الحكومة الذين يستلمون رواتبهم من ميزانية الشعب على العمل في استفتاء شخصي؟ بأي حق أغرتم على سوق قم قبل شهرين واقتحمتم المدرسة الفيضية؟ بأي حق...؟ بأي حق...؟ و...

إني أهيئ قلبي الآن لرماح عملائكم، إلا أنني لن أكون حاضرا أبدا لقبول بلطجتكم والخضوع والامتثال لطواغيتكم، فأنا وبإذن الله سأبين أحكام الله في الوقت المناسب، وسأفضح أعمالكم المتعارضة مع مصالح البلاد ما دام في يدي قلم».

مع إعلان هذا البيان وقف الإمام رسميا في وجه النظام الملكي المستبد وبدا حربا صعبة ضروس . كان عمل الإمام في ذاك الزمن يعتبر أمرا شديد الخطورة، فعلى حد علمي، لم يملك أي شخص آخر الجرأة والشجاعة على ذلك، فعندما كان احدهم يريد الاعتراض أو نشر بيان كانت الحكومة هي المخاطب والهدف وليس الشاه، وحينما كانت ترسل برقيات في بعض الأحيان إلى الشاه، كانت صيغة الخطاب فيها مليئة بالمجاملات والألقاب الشرفية وتحمل نغمة خاصة، فعلى سبيل المثال كانوا يقولون: يا صحاب

السمو والفخامة نرجو منكم أن تتفضلوا بإصدار قرار لمنعهم من فعل ذلك .

بالطبع فان الإمام كان يخاطب الشاه أيضا حسب العرف الرائج آنذاك قبل أن يشن الشاه حربا لتدمير المقدسات علنا، فبعد أن فضحت نية الشاه بهدم أركان الإسلام، كسر الإمام جميع حواجز الألقاب الشرفية والاحترام للشاه وألقى بكل تلك المجاملات والتشريفات وراء ظهره وصار يتقصد الشاه في خطابه بشكل رسمي ويخطئه ويلومه.

لقد صمم الإمام على الاستمرار في نضاله هكذا، أي أن يقاتل الشاه والنظام الملكي بشكل مباشر.

ارتباط الدين والسياسة

من وجهة نظر الإمام الخميني قدس سره

إعداد: محمّد تقي سبحاني نيا

تعريب: الشيخ محمد جمعة العاملي

ارتباط الدين والسياسة

ممّا لا شك فيه أنّ أحد المسائل الهامّة والأساسيّة في مجال الفكر السياسي للإمام الخميني (رحمه الله) هو موضوع ارتباط الدين والسياسة، فإنّ فكرة فصل الدين عن السياسة قد لاقت معارضةً شديدةً من الإمام(رحمه الله) بعد أن كان لها قدم السبق بين المسلمين بسبب الجهود الجبّارة للمجموعات المختلفة.

لقد قام الإمام بعنوانه المنادي بالرابطة الوثيقة بين الدين والسياسة وبعنوانه المُحيي العظيم للفكر الديني من خلال بيان نظريّة ولاية الفقيه والحكومة الدينيّة ومن خلال تأسيسه لنظام الجمهوريّة الإسلاميّة بما تمثّله من تجسّمٍ عينيٍّ لارتباط الدين بالسياسة، فرفع بذلك الستار عن دور المستعمرين المشؤوم، وقام بالتعريف بالإسلام المحمّدي الأصيل، فبيّن بذلك جامعيّة الإسلام وأبديّته والأبعاد السياسيّة للإسلام واستجابته للحاجات الأساسيّة للمجتمع، فقام بذلك عبر بيانٍ واضحٍ وكلامٍ وقلمٍ صريحين، وبأسلوبٍ مقبولٍ.

وفي هذه المقالة سوف نُلقي نظرةً إجماليّةً على السير الإجمالي للبحث عن الفصل بين الدين والسياسة وعوامل ظهور هذه الفكرة، ودور الإمام(رحمه الله) في تغيير هذه الفكرة الخاطئة، وإحيائه للارتباط بين الدين والسياسة؛ ومن هنا، سوف نتعرّض للبحث المذكور من خلال عرض ستّة أقسامٍ:

١- معنى الدين والسياسة.

٢- خلفيّة البحث عن فصل الدين عن السياسة.

٣- عوامل ظهور نظريّة الفصل.

٤- أدلّة نظريّة الفصل.

٥- نقد فكرة ونظريّة الفصل.

٦- بيان رأي الإمام الخميني (رحمه الله).

١- معنى الدين والسياسة

قبل بيان مقولة ارتباط الدين بالسياسة، يجب أن نُوضّح معنى كلٍّ من الدين والسياسة لكي يتّضح هل يُمكن أن يكون هناك ارتباطٌ وانسجامٌ بين هاتين المقولتين أم لا؟

إنّ ما يفهمه الغرب عن الدين والسياسة يختلف عمّا مفهومهما في الإسلام، ومن البديهي بالتالي أن يكون حكمهما في مسألة ارتباط الدين والسياسة مختلفًا أيضًا، يقول «ويلسون»: «طالما أنّنا نُعرّف الدين من الناحية الجوهريّة بأنّه عبارةٌ عن الاعتقادات والاتجاهات والمدركات والنشاطات والمؤسّسات والمباني المرتبطة بأمرٍ ماورائيّ أو ميتافيزيقيّ، (وهذا هو التعريف الذي قبلنا به في هذه المقالة)؛ فسوف يكون من الممكن تقييم حدّ نقصان أهميّة الدين أو زوال تلك الأهميّة في أعمال المجتمع، ولكنّ بعض

علماء الاجتماع عرّفوا الدين بناءً للمبنى العَمَلي، أي إنّهم عرّفوه بأنّه مجموعةٌ من العقائد والأفكار والنشاطات، والتي لها أعمالٌ اجتماعيّةٌ محدّدةٌ»[١].

يقول العلّامة الجعفري (رحمه الله)[٢]: «في عصرنا الحاضر الدين في العالم الغربيّ عبارةٌ عن علاقةٍ روحانيّةٍ شخصيّةٍ بين الإنسان والله وسائر الحقائق التي هي فوق عالم الطبيعة، بدون أن يكون له أدنى دورٍ في الحياة الدنيويّة للبشر، وأمّا السياسة في الغرب فهي عبارةٌ عن توجيه الحياة الطبيعيّة للناس وإدارتها في المجال الاجتماعي نحو الأهداف التي اختارها في الظاهر أغلبيّة الناس»[٣]. ويُمكن القول:

إنّ الدين بالنسبة للفهم الرائج بين الغربيّين لا يُمثّل نظامًا عقائديّاً ومعرفيّاً، بل هو عبارةٌ عن مسألةٍ تابعةٍ للسليقة والذوق والإحساس الشخصي للأفراد، ومن خلال القراءة الموجودة عند الغرب للدين والسياسة، ينبغي أن

---

(١) ميرتشا إليادة، [الثقافة والدين مقالةٌ حول انفصال الدين والدنيا]، ترجمها للفارسيّة الدكتور أسعدي، الطبعة الأولى: طهران، طرح نو، ص ١٢٦٦.

(٢) العلّامة الشيخ محمّد تقي بن كريم الجعفري (ولد ١٣٤٤هـ - توفي ١٤١٩هـ)، عالمُ دينٍ وفيلسوفٌ إسلاميٌّ شيعيٌّ إيرانيٌّ معاصرٌ، له شرحٌ على نهج البلاغة، وهو من تلامذة مُفجّر الثورة الإسلاميّة في إيران سماحة الإمام السيّد روح الله الخميني رضوان الله عليه، له العديد من المؤلّفات في العديد من العلوم، تُوفي في مستشفى بلندن ودُفِن في مدينة مشهد الإيرانيّة. (م).

(٣) مجلة قبسات [بالفارسيّة]، العدد ١، ص ٦٥.

نتوقّع أن يكون رأيهم هو فصل الدين عن السياسة؛ لأنّه مع هذه القراءة ليس للدين أيّ شأنٍ بحياة الناس والشؤون المرتبطة بحياتهم الدنيويّة، وينحصر دور الدين في بناء طريق الآخرة وحسب، وبعبارةٍ أخرى: الدين بحسب هذا التفسير ليس إلّا برنامجٌ لما بعد الموت، وليس لديه أيّ برنامجٍ لهذا العالم.

وأمّا من وجهة نظر الإسلام، فالدين عبارةٌ عن مجموعةٍ مرتبطةٍ ببعضها البعض من العقائد والمعارف المستقاة من الوحي الإلهي فيما يتعلّق بالعالم والإنسان وبعالم ما بعد الموت، والتي تهدف إلى هداية الإنسان نحو أسلوبٍ أفضل من الحياة وإلى أن يُصبح الإنسان أكمل.

يقول العلّامة الجعفري (رحمه الله): «كلّ حقيقةٍ وظاهرةٍ يُمكن الاستفادة منها من أجل تنظيم وإصلاح الحياة الإنسانيّة في الارتباطات الأربعة (ارتباط الإنسان مع نفسه، وارتباطه مع الله، وارتباطه مع عالم الوجود، وارتباطه مع أبناء جلدته من البشر) فمن وجهة نظر الإسلام تُعتبر جزءاً من الدين»[١].

إنّ السياسة بمعناها اللغوي والتي عُرِّفت بأنّها «القيام على الشيء بما يُصلحه»[٢] تنشأ من عمق الدين، وفي المقابل إنّ السياسة التي هي بمعنى الخدعة والحيلة ـ وهو المعنى والفهم الخاطئ للسياسة ـ تتعارض مع روح الدين والشريعة الإسلاميّة، وأعداء الإسلام يُرغّبون المتديّنين بالابتعاد عن

---

(١) المصدر السابق، ص ٦٦.

(٢) مجمع البحرين، ج ٤، ص ٧٨.

السياسة من خلال إصرارهم على هذا المعنى الغير صحيح للسياسة.

يقول الإمام الخميني (رحمه الله) حول هذا الأمر: «عندما حُبس آية الله الكاشاني في قلعةٍ تسمى فلك الأفلاك، قال قائد ذلك السجن في يومٍ من الأيّام للسيّد الكاشاني متسائلًا: لم تتدخّلون في السياسة من الأساس؟ إن شأنكم أجلّ منها، فلماذا تتدخّلون فيها؟ فالسياسة ليست من شأنكم... فقال له: "إذا لم أتدخّل أنا في السياسة فمن يتدخل فيها؟!"»[1] ثمّ استمرّ الإمام وقال: «لقد اقتادونا إلى رئيس مؤسّسة الأمن، وضمن كلامه قال: أيّها السيّد! السياسة عبارةٌ عن الكذب، عبارةٌ عن الخداع، عبارةٌ عن الاحتيال والتدليس، عبارةٌ عن احتراق النفس، فدعوها واتركوها لنا، فأجبته قائلًا: "إن هكذا سياسة هي لكم أنتم"، طبعًا هذه السياسة ليس لها أيّ علاقةٍ بالسياسة الإسلاميّة، إنّها سياسةٌ شيطانيّةٌ، وأمّا السياسة بمعنى إدارة شؤون البلاد والمجتمع والسير بهما وهدايتهما لِمَا فيه الخير والصلاح للمجتمع والفرد، فإنّها ثابتةٌ في رواياتنا عن النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله) وبنفس لفظ (السياسة)...، وفي إحدى الروايات ورد ما مضمونه أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) إنما بُعث ليتولى سياسة البلاد والعباد»[2].

---

(١) راجع [صحيفة الإمام]، ج ١٣، ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨.

(٢) نفس المصدر: ج ١٣، ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠.

٢- خلفيّةُ بحثِ فصلِ الدين عن السياسة

تعود جذور فكرة فصل الدين عن السياسة في العالم المسيحي إلى الثقافة اليونانيّة القديمة، فبعد أن سقطت حكومة الكنيسة وبعد أن قَصُرت أيديها عن التدخّل في شؤون الحياة أو في الحياة السياسيّة، وبعد أن اقتصر دور الكنسية على الاهتمام بالأمور المعنويّة والأخلاقيّة، انبثقت بعض المذاهب الغربيّة ومن بينها مذهب «الإنسانيّة» و«العلمانيّة» و«الليبراليّة»، عندها قويت فكرة عدم تدخّل الدين في المجالات الاجتماعيّة والسياسيّة.

وبعد أن تعرّف الحداثيّون في العالم الإسلامي على نظريّات المذاهب المذكورة هذه، تهيّأت الأرضيّة لإدخال هذه الفكرة إلى العالم الإسلامي، وقام العالم الغربي بالمساعدة على ذلك من خلال حيلٍ خاصّةٍ، وأمّا في التاريخ الإسلامي قد طُرحت هذه النظريّة لأوّل مرّةٍ من قبل بني أميّة.

يقول الإمام الخميني (رحمه الله) في هذا الصدد: «إنّ طرح قضيّة فصل السياسة عن علماء الدين، ليس أمرًا جديدًا، فقد طُرحت هذه القضية في عصر بني أميّة واشتدت في عصر بني العباس، وفي هذه العهود الأخيرة حيث انتشر نفوذ الأجانب في البلدان المختلفة، تمّ تصعيد هذه القضيّة»[1].

وقد قال معاوية بعد الصلح في سنة أربعين للهجرة في خطبته: «والله إنّي مَا قاتلتُكم لِتصلّوا ولا لتَصوموا، ولا لتَحجّوا ولا لتُزكّوا، إنّكم لتفعلون

---

(١) راجع [صحيفة الإمام] ج ١٦ ص ٣٢٠.

ذلك، وإنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون»[١]، يقول العلّامة الطباطبائي (رحمه الله): «ومعاوية بكلماته هذه يُشير إلى أنّه يريد أن يفصل السياسة عن الدين، ولن يكون هناك أيّ ضمانة للالتزام بأحكام الدين، بل سيصرف كلّ قوّته في المحافظة على حياة حكومته»[٢].

خلافًا لتصوّر البعض ممّن قال: «إنّ المقولة القائلة بأنّ الإسلام دينٌ ودولةٌ، هي مقولةٌ عارضةٌ ظهرت حديثًا، ولم تكن معروفةً في السابق»[٣]، نجد أنّ «جان جاك روسو» يقول: «إنّ المذهب المقدّس (المسيحيّة) بقي منفصلًا عن الهيئة الحاكمة على الدوام، ولم تكن علاقته بالدولة علاقةً إجباريّةً، وأمّا النبيّ محمّد [صلّى الله عليه وآله] فكان لديه نظريّاتٌ صحيحةٌ، وكان قد نظّم جهازه السياسي بنحوٍ جيّد، وطالما بقي أسلوبه في الحكم بين خلفائه، طالما بقيت الحكومة دينيّةً ودنيويّةً، فالحكومة الدينيّة والدنيويّة الشرعيّة والعُرفيّة كانت واحدةً، وكانت تُدير الدولة، ولكن عندما أصبح العرب أغنياء ضعفت، وتغلّبت عليها الطوائف الأخرى، وعندها بدأ الخلاف بين السلطتين مرّةً أخرى»[٤].

---

(١) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١٢٤.

(٢) العلّامة الطباطبائي، [الشيعة في الإسلام] فارسي، ص ٢١.

(٣) [مجلّة الحكومة الإسلاميّة] فارسي، السنة الثالثة، العدد ٤، ص ٣٣.

(٤) جان جاك روسو [العقد الاجتماعي]، ترجمه للفارسيّة: غلام حسين زيرَك زاده، ص١٩٥.

من المعروف أنّ أوّل فكرةٍ علمانيّةٍ حصلت في نطاق أهل السنّة بمعنى الاتجاه نحو الدنيا وخصوصًا جعل السياسة دنيويّةً، كانت من قبل علي عبد الرازق، والذي طرحها في سنوات الأزمة التي أُلغيت فيها الخلافة العثمانيّة، ونحن بدورنا سوف نتعرّض إلى بعض آرائه في الفصول الآتية، وأمّا في إيران فقد دخلت فكرة فصل الدين عن السياسة من خلال نفوذ الغرب إلى إيران عبر بعض العناصر الذين باعوا أنفسهم وصاروا غربيّين ومتفرنجين أو تابعين للمنظّمة الماسونيّة.

يقول أحد المؤرّخين: «قامت المنظّمة الماسونيّة في إيران لتنفيذ أطروحة الإسلام الخالي من الروحانيّة وفصل الدين عن السياسة بالاستفادة من نموذج المواجهة والقتال التي حصلت من قِبل الليبرالية الفرنسيّة مع الكنيسة ومع نظام التفتيش الفكري (الذي أدّى إلى حصول الثورة العظيمة في فرنسا)، وأرادوا أن يُطبّقوا هذا النموذج في إيران...، ومن هنا قام بعض الماسونيين الذين خذلوا وطنيّتهم وباعوا أنفسهم، مثل العقيد «آخوندف» و«الآقا خان كرماني» اللذين كانا قد انبهرا وسلّما قلبيهما للثقافة الغربيّة، فبدأ يكتبان بقلمٍ جذّابٍ وأوراقٍ أنيقةٍ ضدّ الله والإسلام والقرآن والمسجد ورجال الدين».

فقد كتب العقيد «آخوندف» حول طرحه الغامض ما يلي: «لقد سقطت ظلمة رجل الدين وتحقّق إصلاح الدين عن طريق البروتستانتيّة

الإسلاميّة، وقد انفصلت السياسة عن الدين بنحوٍ مطلقٍ، وما عاد للدين أن يتدخّل في الأمور الدنيويّة»[١].

ينبغي البحث عن أوّل بوادر فصل الدين عن السياسة في إيران فيما بعد الحروب الإيرانيّة مع الروس، فقد عمد صُنّاع القرار القاجاريّون[٢] إلى تبرير هزيمتهم من قبل الإمبراطوريّة الروسيّة من خلال تحميل الذنب على تدخّل رجال الدين في الحرب والسياسة، وقد قويت هذه الفكرة في حكومة رضا خان، ففي العصر البهلوي الثاني زادت المسافة بين الدين والدولة أكثر وأكثر.

---

(١) السيّد حميد روحاني، نهضة الإمام الخميني] فارسي، الطبعة الأولى: طهران، مركز إسناد انقلاب إسلامي، ص ١٣٣.

(٢) القاجار سلالةٌ من الشاهات حكمت إيران لسنواتٍ عديدةٍ وذلك بين ١٧٧٩-١٩٢٥ م، وكان مقرّهم في طهران، وفي عام ١٩٠٦ م تمّ إقرار دستورٍ جديدٍ للبلاد يحدّ من صلاحيات الشاه مظفر الدين، ثمّ في سنة ١٩٢٥م قام رئيس الوزراء رضا خان بهلوي والذي أصبح نفوذه يتزايد بخلع الشاه القاجاري الأخير أحمد ميرزا ثمّ اتخذ لنفسه لقب الشاه مُعلنًا سلالة جديدة من الشاهات فخلفه ابنه من بعده محمّد رضا شاه البهلوي والذي أُسقط من خلال الثورة الإسلاميّة الميمونة التي فجّرها سماحة الإمام الخميني قدّس سرّه. (م)

٣- عوامل نشأة نظريّة الفصل

إنّ فكرة الفصل بين الدين والسياسة هي مثل أيّ ظاهرةٍ أخرى، فهي معلولةٌ لعوامل فكريّةٍ واجتماعيّةٍ، وبالالتفات إلى كلام الإمام(رحمه الله)، فإنّ جذور هذا الفكر تعود إلى الأمور التالية:

أ) الدعاية الاستعماريّة:

يقول الإمام الخميني رحمه الله: «إنّ شعار فصل السياسة عن الدين هو من دعايات الدول الاستعماريّة التي تُريد أن تمنع الشعوب المسلِمة من التدخّل في تقرير مصيرها»[١].

ب) نظرة المسلمين الدونيّة لأنفسهم:

يقول الإمام: «نرى البعض منهم في الحوزات يُسِرّ إلى الآخر: إنّ هذه الأعمال لم تُخلق لنا ولم نخلق لها. ما لنا ولها؟ إنّما علينا أن ندعو الله وأن نُبيّن المسائل، إنّ هذه الأفكار هي من آثار تلقينات الأجانب، ونتيجةٌ لتبليغات السوء التي استمرّت لسنواتٍ عديدةٍ من قبل المستعمرين والتي تغلغلت إلى أعماق النجف وقم ومشهد وباقي الحوزات، وهو الذي أدّى إلى جعلها كئيبةً وهزيلةً وقليلةَ الهمّة، ولا تسمح بالتكامل، فنحن نجد أنّهم يتحجّجون باستمرارٍ بأنّ هذه الأعمال ليست لنا، هذه الأفكار خاطئة، فما الذي يفعله الحكّام الذين يحكمون الآن البلدان الإسلاميّة بحيث لا نستطيع نحن القيام

---

[١] راجع [صحيفة الإمام] ج ٥، ص ١٢٩ـ ١٣٠.

به؟! أيّهم يمتلك من اللياقة أكثر من الإنسان العادي»[١]

ويقول في موطنٍ آخر: «تخلّصوا من هذه الكآبة وأبعدوها عنكم... لقد وصل إلى أسماعنا من قبل الأجانب وعملائهم أنْ يا سيّد اذهب إلى المدرسة والدرس والتحصيل العلمي؛ فما شأنك بهذه الأمور، إنّ هذه الأعمال صعبةٌ عليك، ونحن بدورنا صدّقنا أنّ هذه الأعمال صعبة علينا. أنتم أيضًا يُمكنكم إدارة البلاد، فما هو الأمر الذي لديهم وليس لديكم»[٢].

كان هناك العديد من المهزومين المتأثّرين بالدعاية الغربيّة، فكانوا يعتقدون بهذا الأمر، وهو أنّ العالم الإسلامي إذا أراد أن يتحرّر من تخلّفه، فيجب عليه أن يبتعد عن الدين، وأن يتمسّك بالنموذج الغربي، يقول أحد المستشرقين الأوروبيّين: «إنّما وصلت أوروبا إلى الازدهار والنجاح عندما فُصل الدين عن الحكومة. وعندما ابتعد رجال الدين والمذهب عن السلطة وعادوا إلى كنائسهم، نمى العلم وارتقت الصناعة»[٣].

---

(١) الإمام الخميني، ولاية الفقيه (الطبعة الثامنة: طهران مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني: ص ١٢٦.

(٢) الإمام الخميني، ولاية الفقيه (الطبعة الثامنة: طهران مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني: ص ١٢٧.

(٣) مجلّة الحوزة (فارسي) السنة ١٥، العددين ٨٤ - ٨٥، ص ٣٢٩.

ج)عدم معرفة الإسلام:

رغم أنّ نظريّة الفصل بين الدين والسياسة قد طُرحت من قبل بعض الكُتّاب المسلمين، ولكن مع التعمّق في المسائل التي طرحوها يُمكن أن نستنتج بأنّ دليل تبنيهم لهذه النظريّة ناشئٌ من نظرتهم السطحيّة تجاه الأحكام الإسلاميّة، يقول الإمام الخميني (رحمه الله) في هذا الصدد: «والله الإسلام كلّه سياسةٌ، لقد عرّفوا الإسلام بشكل سيء»[١] كما كتب في موطنٍ آخر ما يلي: «فمَن توهّم أن الدين مُنفكٌ عن السياسة فهو جاهلٌ لم يعرف الإسلام ولا السياسة»[٢].

يعتبر«دوايت دونالدز» المذهب الشيعي فارغًا من النظام السياسي، ويرى أنّ التشيّع ليس إلّا إطارٌ من البكاء والندب واللطم وغيرها من المراسم وإحياء ذكرى الأئمّة الشهداء[٣].

وقد كتب «ويلسون» ما يلي: «إنّ التيّار العام لفصل الدين عن الدنيا، سيؤدّي إلى انفصالٍ أكبر للدين عن باقي المؤسّسات الاجتماعيّة، وسوف تبرز سرعة هذا الفصل ووضوحه أكثر بكثير في شؤون تلك المؤسسات التي

---

(١) راجع [صحيفة الإمام]، ج ١٣، ص ٢٦٨ ـ ٢٧٠.

(٢) الإمام الخميني، تحرير الوسيلة، ج ١، (قم، مؤسسه مطبوعاتى اسماعيليان)، ص ٢٣٤.

(٣) عباس علي عميد زنجاني، [الفقه السياسي] فارسي، ج ٢ص ١٩٠٠، (انتشارات أمير كبير، الطبعة الأولى).

تُشكّل القواعد الأساسيّة لتنظيم الحياة الاجتماعيّة (مثل: الحقوق والسياسة والاقتصاد وأخيرًا التعليم)، وأقلّ بكثير في تلك المؤسسات التي لها جذورٌ في حياة الجماعات المحليّة (من قبيل الزواج والأسرة والأخلاق الشخصيّة)»[١].

ويقول «استكهاوس» : «تُفهم السياسة عادةً بأنّها تعني القبض على السلطة وتنظيمها والتنظيم والاستفادة منها في إحدى المناطق من الأرض أو المجتمع، وخاصّةً سلطة الحكم واتّخاذ القرارات المتعلّقة بمن يُدير وكيف يُدير المؤسسات العامّة للمجتمع، وهذه السلطة لا ترتبط بالدين أبدًا،بل تعتمد على إدراك عامّة الناس العاديّين وكذلك على رأي بعض المحقّقين في هذا الشأن، وبالطبع ليس هناك شكٌّ في أن البعض وبسبب أنّهم يعتبرون الدين كأيدلوجيّة لارتقاء المكاسب السياسيّة / الاقتصاديّة،لذا فهم يعتقدون بوجود نوعٍ من العلاقة بين السياسة والدين، ولكنّ الفهم الأشمل والأكثر عمقًا للتاريخ والحضارة، يُظهر بوضوحٍ أنّه لا مهرب من ارتباط السياسة والدين، وأنّ الدين يتأثّر بالسياسة على الأقل بنفس مقدار تأثيره عليها»[٢].

د) التفسير الخاطئ للمفاهيم الدينيّة:

هناك مجموعةٌ تعتقد بناءً لتفسيرها الخاطئ حول «مبدأ الانتظار» بعدم وجود أيّ تكليفٍ على أيّ أحدٍ في قبال الظلم والفساد، وهذه الفرقة كانت

---

(١) ميرتشا إليادة، المصدر السابق، ص ١٣٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٤٨.

وما زالت تُعرف في إيران باسم «انجمن حجتيه» [جماعة الحجّتيّة]، وهم من المؤيّدين القويّين لعدم التدخّل في الأمور السياسيّة، يقول الإمام الخميني (رحمه الله) في هذا الصدد: «ترى فئةٌ أخرى ضرورة تزايد ارتكاب المعاصي كي يُمهد ذلك الطريقَ لظهور صاحب الأمر، فلماذا يظهر صاحب الزمان؟ يظهر للقضاء على المعاصي، وعلينا ارتكاب المعاصي حتّى نُسهّل ظهوره!»[١].

هـ) فقدان الفكر السياسيّ المستقلّ:

كما يقول أحد الكتّاب: رغم وجود اتجاهٍ خاصٍّ في قلب المسلمين وباطنهم نحو السياسة، وهو الأمر المستقى بنحوٍ مباشرٍ من روح تعاليم الإسلام[٢]، ولكن للأسف نرى ولأسبابٍ مختلفةٍ في تاريخ الإسلام فقدانًا للفكر السياسيّ المستقلّ، وهذا الأمر أدّى إلى رواج نظريّة الفصل بين الدين والسياسة.

ويرى أحد الكُتّاب أنّ هناك عاملين يؤثّران في فقدان الفكر السياسي: ١ـ العامل السياسي الاجتماعي؛ فأغلب المسلمين عاشوا ويعيشون تحت حكم أنظمةٍ تحرمهم من الحريّات الإسلاميّة. ٢- وضوح المعرفة؛ فقليلًا ما يقرأ المسلمون السياسة منفصلةً عن باقي العلوم والمعارف، وعادةً ما يربطونها بتلك

---

(١) راجع: [صحيفة الإمام]، ج ١٧،ص ٤٣١ـ ٤٣٢.

(٢) حميد عناية، [الفكر السياسي في الإسلام المعاصر]، ترجمه للفارسيّة بهاء الدين خرمشاهي، (الطبعة الثانية: انتشارات خوارزمى).

العلوم؛ فقد تمّ البحث عن مسائل من قبيل: طبيعة الحكومة، وأنواع الحكومة وأقسامها، وصفات الحاكم ، وحدود سلطاته، وحقوق المواطنين وذلك كقسمٍ من الموسوعة الفقهية والكلامية، ووُضعت جميع هذه الأمور في حدود الشريعة وحريمها، ونجد أنّ النُخَب الإسلاميّة بدأت بكتابة المؤلّفات بنحوٍ منفصلٍ عن المباحث المتعلّقة بالسياسة فقط بسبب تأثير الضربة والهزّة التي سببتها الانتهاكات العسكريّة والسياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة من قبل الأوروبيّين والتي بدأت منذ أواخر القرن الثامن عشر[١].

وبالطبع، هذا الكلام لا يعني عدم اعتناء فقهاء الإسلام بذلك، فعلى الرغم من عدم وجود فكرٍ سياسيٍّ مستقلٍّ، كان فقهاء الإسلام دائمًا يتعرّضون للمسائل السياسيّة ضمن طيّات المباحث الفقهيّة المختلفة، ويُمكن لنا أن نُشاهد أوّل مصادر فقه الحكومة الإسلاميّة في الجوامع الحديثيّة، مثل: الكافي والتهذيب،كما يعتبر الشيخ المفيد بأنّ الولاية هي في الأساس لسلطان الإسلام في المجالات المتعلّقة بالقضاء وإجراء الحدود فيقول: فيزمان غيبة صاحب الأمر قد فُوِّض النظر في هذه الأمور إلى فقهاء الشيعة من قبل الإمام عليه السلام[٢].

---

(١) المصدر السابق، ص ١٩.

(٢) يقول الشيخ المفيد قدس سره في المقنعة: في باب الأمر بالمعروف: «فأما إقامة الحدود، فهو إلى سلطان الإسلام المنصوب من قبل الله تعالى، وهم أئمة الهدى من آل

←

وبعد إعادة إحياء الفقه الاجتهادي بواسطة الوحيد البهبهاني، حصل تحوّلٌ في الفقه السياسيّ أيضًا، فمن خلال طرح الفقهاء لمسألة ولاية الفقيه، نجد أنّهم جعلوا مباحث الفقه السياسيّ تدور حول هذا الأصل(ولاية الفقيه)، فبحثوا مسائل الحكومة بنحوٍ مستقلٍّ وتحت هذا العنوان.

و) التجربة التاريخيّة الفاشلة للكنيسة ولحكّام الجور الذين حكموا باسم الدين

من بين أسباب نشأة فكرة فصل الدين عن السياسة، قائمة النتائج الفاشلة للذين حكموا باسم الدين، حيث لم يجلب ذلك للناس غير الإحباط واليأس من الدين، ويقول حول هذا الأمر أحد الحداثيّين المسلمين وهو أحد المؤيّدين لهذه النظريّة، ما يلي: «لم تترك ألف سنةٍ من رئاسة البابوات بلا منازعٍ، ومن الحاكميّة القاهرة للكنيسة الكاثوليكيّة على الملوك والأرستقراطيين وشعوب أوروبا في القرون الوسطى، سوى الجهل والظلمة والركود والتخلّف وخنق الأفكار أو محاكم التفتيش الرهيبة، أضف إلى ذلك الإحباط والهروب من الدين ومن الله، والعودة إلى التراث اليوناني مع ما صاحبه من تجدّد العداء للتديّن»[1].

لقد حكم في إيران الإسلاميّة العديد من السلاطين والملوك غير

محمد عليهم السلام، ومن نصبوه لذلك من الأمراء والحكام، وقد فوضوا النظر فيه إلى فقهاء شيعتهم مع الإمكان، فمن تمكن من إقامتها....».

(1) [مجلّة كيان] فارسي، العدد ٢٨، ص ٥٩.

الكفؤين باسم الدين لسنوات مديدة، فزُرعت هذه الفكرة في الأذهان وهي أنّ منشأ تخلّفهم هو التزامهم بالإسلام والأحكام الدينيّة، في حين أنّ النقص والعيب الموجّه لهم هو عدم التزامهم العملي بالإسلام.

وفي نهاية هذا القسم، نذكر لكم مقطعًا من الوصيّة السياسيّة الإلهيّة للإمام الخميني (رحمه الله)، والتي يتحدّث فيها عن جذور إيجاد مؤامرة الفصل بين الدين والسياسة، قال: «من المؤامرات المُهمّة ـ التي تبدو بوضوح في القرن الأخير وخصوصًا في العقود المعاصرة، وبالأخصّ بعد انتصار الثورة الإسلاميّة ـ: الدعايات على نطاق واسع بأبعاد مختلفة لزرع اليأس من الإسلام في الشعوب، وخاصّة الشعب الإيراني المضحيّ، فتارةً يقولون ـ بسذاجة وبصراحة ـ: إنّ أحكام الإسلام التي وُضعت قبل ألف وأربعمائة سنة لا تستطيع إدارة الدول في العصر الحاضر، أو أنّ الإسلام دينٌ رجعيٌّ ويعارض كلّ أنواع التجدّد ومظاهر الحضارة، وفي العصر الحاضر لا يُمكن فصل الدول عن الحضارة العالميّة ومظاهرها، وأمثال هذه الدعايات البلهاء.

وتارةً أخرى يظهرون ـ بخبث وشيطنة ـ كمدافعين عن قداسة الإسلام، فيقولون: إنّ الإسلام وسائر الأديان الإلهية تهتمّ بالمعنويات وتهذيب النفوس، والتحذير من المراتب الدنيويّة، وبالدعوة إلى ترك الدنيا والاشتغال بالعبادات والأذكار والأدعية التي تُقرِّب الإنسان من الله وتُبعده عن الدنيا، والحكومة والسياسة وفنّ الإدارة مناقضٌ لتلك الغاية وذلك الهدف الكبير والمعنويّ...، حيث إن هذه جميعها لبناء الدنيا وذلك مناقضٌ لسيرة جميع الأنبياء العظام.

ومع الأسف، فإنّ هذه الدعاية بشكلها الثاني، قد تركت أثرها في بعض علماء الدين والمُتديّنين الجاهلين بالإسلام، فكانوا يرون التدخّل في الحكومة والسياسة بمثابة المعصية ـ ولعل البعض الآن يرون نفس هذا الرأي ـ وهذه فاجعةٌ كبرى قد ابتلى بها الإسلام»[١].

٤- أدلّة نظريّة الفصل بين الدين والسياسة

يُقدّم القائلون بفكرة الفصل بين الدين والسياسة، عددًا من الأدلّة على ذلك، ونحن بدورنا سنُشير إلى أهمّ أدلّتهم.

أ) الاستدلال بالقرآن:

يدّعي علي بعد الرزّاق من خلال التمسّك ببعض آيات القرآن من قبيل قوله تعالى: ﴿قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾[٣] بأنّ القرآن لم يضع على عاتق النبيّ أيّ تكليفٍ أكثر من المسؤوليّة الدينيّة، ويقول: «القرآن كما ترى يمنع صريحًا أن يكون النبيّ صلّى الله عليه [وآله] وسلّم حفيظًا على الناس، أو وكيلًا أو جبّارًا أو مُسيطرًا، وأن يكون له حقّ إكراه الناس حتّى يكونوا مؤمنين»[٤].

---

(١) وصيّة الإمام الخميني قدس سره، البند «ب».

(٢) سورة الأنعام (٦)، الآية: ٦٦.

(٣) سورة الشورى (٤٢)، الآية: ٤٨.

(٤) علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، ص ١٧١.

ويستنتج كذلك المهندس بازرگان[١] من آيات القرآن ما يلي: «إنّ ما يُستنتج من مجموعة من الآيات والسور القرآنيّة أنّ القسم الأعظم والأصلي منها يدور حول محور مسألتين: الله والآخرة، فالله يعني القبول بوجوده والقيام بعبادته، مع الرفض الشديد لعبادة أو متابعة آلهة آخرين، وأمّا الآخرة فتعني القبول بالقيامة وبأنّ هناك نوعين من العوالم التي سنعيش فيها، وقد خُصّص عددٌ قليلٌ جدًا من الآيات للأحكام الفقهيّة بما يُشكّل أقل من اثنين بالمائة من آيات القرآن فقط...، إنّ القرآن الذي هو ثمرة وخلاصة الدعوة ولسان الرسالة،لا يقتصر على عدم إعطاء وصيّةٍ ودستورٍ لنا من أجل الدنيا وحسب، بل يلومنا لماذا خضتم في الدنيا إلى هذا الحدّ[٢].

---

(١) المهندس مهدي بازرگان هو أول رئيس حكومةٍ في إيران بعد سقوط الشاه محمد رضا بهلوي،حيث تولّى رئاسة الحكومة المؤقّتة من عام ١٩٧٩ حتّى ١٩٨٠ م،وكان من أنصار الثورة الإيرانيّة على الشّاه، وأحد القادة البارزين فيها، ثمّ اختلف مع الإمام الخميني رضوان الله في عدد من المسائل المهمّة والأساسيّة، منها: تشكيل مجلس الخبراء من قبل علماءٍ ومجتهدين، ومسألة ولاية الفقيه بالإضافة إلى أمور أخرى، ممّا أدّى أن يُقدّم استقالته من الحكومة، وقد كان في البداية من المؤيّدين لارتباط الدين بالسياسة، ولكنّه في أواخر عمره صار من المعارضين لها، وصار من المؤيّدين لفصل الدين عن السياسة. (م)

(٢) [مجلّة كيان] فارسي، العدد ٢٨، ص ٥٩.

ب) الاستدلال بالسُنّة:

رغم أنّ النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) أبرَزَ حضور الإسلام في المشهد السياسي من خلال تشكيل الحكومة، إلّا أنّ منكري ارتباط الدين بالسياسة قدّموا بعض التبريرات لإثبات نظريّتهم.

فرغم أنّ علي عبد الرازق يقبل الارتكاز العامّ للمسلمين والفهم الصحيح والمنطقي الذي لهم، ويقول: «لعلّ ذلك هو الرأي الذي يتلاءم مع ذوق المسلمين العامّ، ومع ما يتبادر من أحوالهم في الجملة، ولعلّه أيضًا هو رأي جمهور العلماء من المسلمين[١]، ولكن مع ذلك نجد أنّه يُنكر دولة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) من الأساس، ويكتب بأنّ ولاية النبيّ على قومه كانت ولايةً معنويّةً[٢].

ولكاتب كتاب «حكمت وحكومت» [الحكمة والحكومة] تحليلٌ آخر فيما يتعلّق بحكومة النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله)، حيث يقول:«بما أنّ هذه المقامات السياسيّة حصلت بسبب فرضٍ الناس لها عليه مضافًا إلى مقامه الإلهي السابق، وبسبب الضرورات الزمانيّة والمكانيّة بدون أن يكون ذلك عن رغبةٍ منه، فهذا المقام فُرض عليه، ولهذا السبب لا يُمكن أن يُعدّ

---

[١] علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، ص ١٤٥.

[٢] المصدر السابق، ص ١٤١.

جزءاً من الوحي الإلهي[١]، ويقول في مقالة أخرى بأنّ الدولة الإسلاميّة وحكومة النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) إنّما نشأت بسبب ظروف وأوضاعِ عصرِ تكوّن الإسلام ونموّه.

ويقول عادل ظاهر: لقد أقام الإسلام دولته من أجل أهداف معيّنة، وتلك الأغراض تقوم بشكلٍ أساسيٍّ على أساس الدين وتحكيم الأسس المرتبطة به، وبما أنّ هذه الأهداف انتفت منذ مدّة، إذن فالحاجة إلى تأسيس الدولة الإسلاميّة انتفى هو الآخر[٢]، ويرى بعضٌ آخر بأنّ دولة النبيّ إنّما قامت بالصدفة.

يقول الدكتور نصر حامد أبو زيد: إنّ الصدفة التاريخيّة هي التي أوجدت في برهة من الزمن الوحدة بين القيادة المعنويّة والقيادة السياسيّة وذلك في شخص النبيّ[٣]، وقد قامت هذه الفئة بتقديم مجموعةٍ من التحليلات حول السيرة السياسيّة للأئمّة الأطهار (عليهم السلام)، وخاصّةً حكومة أمير المؤمنين عليه السلام التي دامت بضع سنوات، فيرى المهندس بازرگان بأنّ حكومة الإمام علي (عليه السلام) إنّما قامت على أساس رأي الناس، وأمّا قبل إقبال الناس على ذلك، فيصف حال الإمام ورأيه بما يلي: «بما

---

(١) مهدي حائري، [الحكمة والحكومة] فارسي، ص ١٤٣.

(٢) [مجلّة الحكومة الإسلاميّة] فارسي، السنة الثالثة، العدد ٤، ص ٣٥.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٦.

أنّه لم يكن يرى أنّ الخلافة من حقّه لذا لم يعمل على الاستيلاء على الحكومة»[١]؛ ويقول عن ثورة الإمام الحسين(عليه السلام): «إنّ حرب الإمام الحسين (عليه السلام) وشهادته أو ثورته ونهضته تُشير إلى هذه الحقيقة، وهي أنّ الخلافة والحكومة بحسب وجهة نظر الإمام والإسلام ليست من حقّ يزيد والخلفاء، وليس من حقّه ولا من حقّ الله، بل هي من حقّ الأمّة التي تختار من تريد، فالإمام الحسن(عليه السلام) أصبح خليفةً لأبيه علي المرتضى (عليه السلام) بناءً لاختيار المسلمين وبيعتهم له، كما أنّه قَبِل بالصلح مع معاوية مضطرًا بناءً لإصرار الناس أيضًا، ومن المُسلّم لو أنّ الإمام الحسن (عليه السلام) كان يرى الخلافة ملكًا شخصيّاً له وأنّه مأمورٌ بها بالأمر الإلهي أو النبويّ، لَمَا سمح لنفسه أن يُصالح أحدًا آخر عليها»[٢].

ج) استحالة اشتمال الدين على السياسة:

قيل: إنّ الدين يحتوي الأوامر الكلّيّة في حين أنّ السياسة أمورٌ جزئيّة، فشأن الدين، الذي يدّعي هداية البشر على مدى التاريخ أرفعُ وأجلّ من أن يتدخّل بالأمور الجزئيّة لعصرٍ من العصور، وقد كتب الدكتور الحائري ما يلي: «إنّ الحكومة وإدارة أمور البلاد ـ التي هي عبارةٌ عن تسيير الأمور والشؤون اليوميّة للناس ولنظامهم الاقتصادي والأمني ـ تُعدّ بأجمعها فروعًا

---

(١) [مجلّة كيان] فارسي، العدد ٢٨، ص ٤٩.

(٢) المصدر السابق.

للعقل العَملي وللمواضيع الجزئيّة والمتغيّرات التي تبقى في حالة تغيّرٍ واختلافٍ على الدوام و...، والتشخيص الصحيح للمواضيع التجريبيّة يقع على عاتق الناس»[١]، ويقول المهندس بازرگان: «إنّ القيام بالأعمال الإصلاحيّة والعمل على إكمال الدنيا التي في مستوى الناس، بعيدٌ عن شأن الله وهو يحطّ من مقام الأنبياء إلى مستوى ماركس وباستور وغاندي»[٢]، ويقول في موطنٍ آخر: «لا حاجة لأن يقوم الله أو رُسل الله بتعليمنا الطريق والأسلوب للحياة أو لحلّ المسائل الفرديّة والاجتماعيّة، خصوصًا أنّ المحنة والمشقّة والجهد والتدبير من أجل رفع المشاكل الجزئيّة هي مِن ضمن برنامج خلق الإنسان»[٣].

ويقول علي عبد الرازق: «والحقّ أنّ الدين الإسلامي بريءٌ من تلك الخلافة التي يتعارفها المسلمون، وبريء من كلّ ما هيئوا حولها من رغبةٍ ورهبةٍ، ومن عزّ وقوّة، والخلافة ليست في شيءٍ من الخطط الدينية، كلّا ولا القضاء ولا غيرهما من وظائف الحكم ومراكز الدولة، وإنّما تلك كلّها خططٌ سياسيّةٌ صِرفةٌ، لا شأن للدين بها، فهو لم يعرفها ولم يُنكرها، ولا أمر بها ولا نهى عنها، وإنّما تركها لنا، لنرجع فيها إلى أحكام العقل وتجارب الأمُم

---

(١) مهدي حائري، [الحكمة والحكومة] فارسي، ص ١٤١.

(٢) [مجلّة كيان] فارسي، العدد ٢٨، ص ٤٨.

(٣) المصدر السابق، ص ٤٩.

وقواعد السياسة»[١].

ويقول الدكتور سروش: «لا ينبغي للدين أن يكون له شأنٌ بدنيا الناس، فالعقلاء هم الذين يُديرون الدنيا، كما أنّ الدين لم يأتِ من أجل أن يعمر دُنيا الناس»[٢]، ويقول في موطنٍ آخر: «إنّ المتديّنين يعشقون دينهم، وعندما تنظر إلى شيءٍ تعشقه، فأوّلًا: لن ترى الأمور الناقصة؛ وثانيًا: ستميل إلى أن تكون جميع الكمالات متجلّيةً في معشوقك، وحينما يعشق شخصٌ الدين، فسوف يطلب له الجامعيّة، ولكنّ الدين لا يتمتّع بهذه الجامعيّة في الواقع، فالمتديّنون يتوقّعون من الدين أن يعمر للناس دُنياهم وآخرتهم معًا، لكنّ لا دليل عقليّ ولا شرعيّ على هذا التوقّع، وإن كُنّا نقبل هذا الفهم من العُشّاق، لكنّنا لا نقبله من عقلاء القوم»[٣].

يعتبر المهندس بازرگان بأنّ السياسة هي كالوظائف الأخرى من الزراعة ورعي الغنم والتي عهد الإسلام بها إلى نفس الناس كي يقوموا بها من خلال استخدام العقل والتجربة والتعاليم مع مراعاة ما يتعلّق بها من مجموعة الأحكام الشرعيّة من الحلال والحرام، فيقول من هذا المنطلق: «لا إشكال في أن تُحارب الأديانُ الإلهيّةُ الظالمين، وأن تُجيز وتُؤيّد العدالة وإدارة الأمم،

---

(١) علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، ص ١٩٢.

(٢) [مجلّة كيان] فارسي، العدد ٣٢، ص ٨.

(٣) [مجلّة كيان] فارسي، العدد ٣٢، ص ٨.

ولكنّ الأيديولوجيّة لا تُعطي أحكامًا وتعاليمَ خاصّةً في هذه المجالات»[١].

د) انتهاء زمان الدين:

يعتقد البعض بأنّ الدين يصلح للأزمان السابقة،وأمّا بالنسبة للوقت الحاضر فتطوّر الإنسان في العديد من النواحي، صار لا يستطيع القيام بإدارة المجتمع ولا تلبية الاحتياجات الاجتماعيّة والسياسيّة للبشر، ويرون بأنّ علم الإنسان وعقله ارتقى إلى درجةٍ كافيةٍ، بحيث يُمكنه اتخاذ القرارات بدلًا من الدين.

يقول سماحة السيّد القائد حفظه الله: «إنّ الدعايات الاستكباريّة ضدّ الإسلام، تُصوّر الإسلام على أنّه غير قادرٍ على إدارة الحياة السياسيّة والاقتصاديّة للأمم المسلمة، وبأنّ الأمة الإسلاميّة مضطرّةٌ للعيش بمعايير وشكل ومحتوى الحكومات والأنظمة الرأسماليّة الغربيّة»[٢].

وقد كتب الإمام الخميني (رحمه الله) مُلتفتًا إلى هذه النظريّة ما يلي: «سياسة المُجتمع وهدايته إلى موازين العقل والعدل والإنصاف، ومئات القضايا من هذا القبيل، ليست من الأمور التي تصبح قديمةً بمرور الزمان على طول تاريخ البشر والحياة الاجتماعية»[٣].

---

(١) المصدر السابق، العدد ٢٨، ص ٥٦.

(٢) [الثقافة والهجمة الثقافيّة] فارسي، ص ١٠٣.

(٣) وصيّة الإمام الخميني قدس سرّه، البند «ب».

هـ) تغيّر السياسة وثبات الدين:

يقول بعض الداعين لمسألة الفصل بين الدين والسياسة ما يلي: لا يُمكن القبول بالربط بين الدين والسياسة؛ لأنّ هاتين المقولتين من سِنخين مختلفين.

وقد طرح التابعون للنظام الطاغوتي المنحط في الصحف شعار فصل الدين عن السياسة بذكاء شيطاني، يقول أحدهم: «إنّ الدين أمرٌ منفصلٌ عن السياسة، فالسياسة كلام اليوم، وأمّا الدين فهو كلامٌ أزليٌّ وأبديٌّ؛ السياسة تقول اليوم شيئًا، ثمّ تقول غدًا شيئًا آخر، أمّا الدين فيقول في الغدِ واليوم والأمس شيئًا واحدًا لا غير؛ للسياسة تأثّرٌ ومظاهرٌ، وهي تتغيّر بتغيّر الزمان، أمّا الدين فلا يتأثّر وليسله مظاهرٌ تتغيّر، وذلك لأنّ الدين مُحيطٌ بالزمان، أمّا السياسة فمُحاطةٌ في الزمان»[١].

و) مفاسد وآفات ربط الدين بالسياسة:

يعتقد المؤيّدون لفصل الدين عن السياسة بأنّ الربط بين الدين والسياسة سيُسبّب عددًا من الآفات والتوالي الفاسدة، وهو ما يستوجب أن يحكم الإنسان بالفصل بينهما، وسنُشير هنا إلى بعض تلك المفاسد المُدّعاة بحسب رأي المهندس بازرگان:

---

(١) حميد روحاني، [نهضة الإمام الخميني] فارسي، ج ١، ص ٣١٤.

١- تحوّل التوحيد إلى الشرك:

يقول: «عندما يتزاحم تحسين حياة الفرد والمجتمع وإدارة الدنيا بالنحو الأنسب مع الآخرة والله، عندها سيدخل هدف الدين وغايته الذي هو الإخلاص في الدين ومحبوبيّة الله في المُحاق، وسيجلس جانبًا ويُنسى، وبذلك يتبدّل التوحيد إلى شركٍ ويسقط التديّن والالتزام بالدين عن أصالته وخاصّيته»[١].

٢- إحباط الناس بسبب عجز الحكام الدينيّين:

ويقول كذلك: «عندما يُواجه الأشخاص المُؤمنون وخصوصًا الشباب المفعمين بالحيويّة والأمل عجز الأديان، ويرون بأنّ المتصدّين والمدافعين مضطرين إمّا إلى الإصلاح أو أن يعجزوا ويعترفوا بذلك، فإنّهم سيصابون بنظرةٍ باردةٍ وسيّئة تجاه عقائدهم»[٢].

٣- التجارب المريرة:

ويقول كذلك: «ألف سنةٍ من الرئاسة الدينيّة للبابوات التي لم يكن لها منازعٌ، ومن حاكميّة الكنيسة الكاثوليكيّة على المُلوك والأرستقراطيّين والناس، لم تترك لها ذِكرًا إلّا الجهل والظلمة...، ولم تترك سوى الاختناق...،

---

(١) [مجلّة كيان] فارسي، العدد ٣٢، ص ٥٨.

(٢) [مجلّة كيان] فارسي، العدد ٣٢، ص ٥٨.

إنّ الخلفاء الأمويّين والعباسيّين والعُثمانيّين الذين ادعوا أنّهم خلفاء رسول الله، وأخذوا زمام الإيمان وزمام أمور المسلمين...، ودمجوا الدين بالسياسة، وأصدروا الأوامر باسم الله والإسلام، ولكن من الناحية العمليّة كان الدين يأخذ أوامره من الدولة، وقد رأينا أيّ ظُلمٍ ألحقوه بالرسالة والشيعة»[١].

٤- الحكومة بأسلوب الإكراه:

ويقول كذلك: «إنّ الإسلام الذي يتحرّك مدعومًا بالسلطة وبأسلوب الإكراه، هو بضاعةٌ للشيطان أكثر من أن يكون دينًا لله، ونُذكّر بأمر الله العزيز الحكيم المُؤكّد والمُتكرّر لرسول الله وللمتّبعين لدينه بأمرين: الأوّل: ﴿إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾، والآخر: ﴿لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ﴾، بالإضافة إلى العشرات من الآيات الأخرى التي تدلّ على عدم المأموريّة أو إيكال مسؤوليّة كفر الناس ودينهم إلى النبيّ، فمُنزل القرآن لا يريد أن يكون قانونه مُتّبعًا إلّا من خلال الاختيار والحريّة مع حفظ الكرامة الإنسانيّة، وأن يُبرَز ويُعرَض مدعومًا بالإرشاد والعلم»[٢].

٥- استخدام الدين كآلة:

ذُكر سابقًا بأنّه بناءً للنظريّة الجامعة ولارتباط الدين مع السياسة، فإنّ

---

(١) المصدر السابق، ص ٥٩.

(٢) المصدر السابق.

الدين يُعدّ آلةً للدنيا، يقول المُهندس بازرگان: «البشر في ذاتهم ينظرون إلى أنفسهم، ونظرتهم قصيرة المدى، كما أنّهم بفطرتهم يُحبّون أنفسهم وهم استثماريّون، ومن الطبيعي جدًا لموجودٍ كهذا أن ينظر إلى الله والدين من نافذة الفائدة الشخصيّة والاحتياجات النوعيّة الدنيويّة، وأن يتصوّر بأنّ هدف الله من بعثة الأنبياء وإنزال الكُتب هو أن يدلّهم وأن يدوّن لهم القوانين لإدارة وتحسين دنيا البشر»[١].

٦- عدم التحرّك في سبيل تحسين المعيشة:

يتصوّر البعض بأنّه مع وجود الدين في مسرح السياسة والحكومة، سوف يقلّ تحرّك الناس وسعيهم في التقدم المادي، يقول المهندس بازرگان في هذا الصدد: «إذا قُلنا بأنّ الإسلام غير مُنحصرٍ في العبادة ومعرفة الله والتقوى الشخصيّة، وأنّ له رأيًا أيضًا في السياسة والحكومة وصلاح الدنيا، وأنّ له تعاليم في كيفيّة تحسين حياة البشر، عندها سوف يضع المجتمع الديني يدًا فوق يدٍ، ولن يسعى إلى العمل والتنظيم والعلم والتخطيط والتحقيق...؛ لأنّه يعتقد بأنّ كلّ شيءٍ موجودٌ في الدين، وحينما يكون الدين كاملًا، عندها لن يعود من حاجةٍ إلى الاختراع والاكتشاف والصناعة... »[٢].

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٨.

(٢) [كتاب النقد] فارسي، رقم ٢ ـ ٣، ص ٣٦٦.

٧ـ الاستبداد الديني:

يرى البعض بأنّ الدولة الدينيّة تُمثّل تحقيقًا «للحقّ الإلهي» ويعتقدون بأنّ الحاكم يُمثّل ظلّ الله على الأرض، فيرى نفسه قيّمًا على الشريعة والناس، يقول وحيد رأفت حول ذلك ما يلي: «إنّ مَدّعي إجراء الشريعة يُريدونهم أن يعودوا من جديد [أي كهنة دولة الفراعنة]؛ لأنّهم هم الوحيدون الذين بيدهم تفسير الشريعة وعلى أساس الثيوقراطيّة الدينيّة؛ وذلك يعني سيطرة رجال الدين والحكومة بواسطة حقّ الله»[١].

٨ـ ابتعاد الساحة المقدّسة للدين عن اللعبة السياسيّة:

يقول الإمام الخميني (رحمه الله) في هذا الصدد ما يلي: «يقولون أحيانًا دعوا علماء الدين ينشغلوا بالمسجد والمحراب وليدعوا السياسة للإمبراطور! فكما يقال: المسجد للبابا والسياسة للإمبراطور»[٢].

٩- حاجتها للعنف:

يعتقد كلٌّ من تولستوي وأنصار العلمانيّة بأنّ الدين يجب أن يُبعد عن نطاق السياسة (التي تتطلّب نوعًا من العنف)؛ لأنّ الدين مبنيٌّ على المحبّة،

---

(١) [مجلّة الحكومة الإسلاميّة] فارسي، السنة الثالثة، العدد ٤، ص ٤٣.

(٢) راجع: [صحيفة الإمام]، ج ١٠، ص ٥٢ـ٥٣.

فينبغي الوقوف بوجه تحويل الدين إلى سلطةٍ حاكمةٍ[١].

٥- مراجعة نقديّة لفكرة ونظريّة الفصل

لقد تعرّفنا في القسم السابق إلى أدلّة المؤيّدين لفكرة الفصل بين الدين والسياسة، وضمن الإجابة على ما قُدّم من الآيات التي استند إليها الأشخاص الذين حصروا المقام الإلهي للنبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله) في الرسالة فقط، ينبغي أننلفت النظر إلى أنّ هذه الفهم ناشئ من النظرة السطحيّة إلى هذا الكتاب المُقدّس، إن هذه الآيات لا تَحصر وظيفة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) في الرسالة والإنذار حصرًا حقيقيًا بحيث يتعارض ذلك مع المقامات والمناصب الأخرى للنبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله)، ويُمكن أن يُستنتج هذا الأمر بقرينة الآيات الأخرى التي تُثبت للنبيّ منصب القضاء والحكومة.

فالآيات التي تتعرّض بنحوٍ واضحٍ لهذا الأمر كثيرةٌ، ورغبةً منّا في مراعاة الاختصار، سنقتصر بالإشارة إلى آية واحدة منها، قال تعالى في القرآن المجيد: ﴿النَّبِيُّ أَوْلى بِالْمُؤْمِنينَ مِنْ أَنْفُسِهِم﴾[٢]، حيث ترى هذه الآية بأنّ الوجود المبارك للنبيّ (صلّى الله عليه وآله) أولى فيما يتعلّق بالتصرّف في أمور المؤمنين من أنفسهم، وبالتأكيد فإنّ هذه الأولويّة في التصرّف تمثّل شيئًا

---

(١) عميد زنجاني، الفقه السياسي، ج ٢، ص ١٨٤.

(٢) سورة الأحزاب (٣٣)، الآية: ٦.

زائدًا على مقام نبوّة النبيّ، وقد رُوي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال في تفسير هذه الآية:«أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْإِمْرَةُ»[١]. وقد جاء في بعض آيات القرآن بأنّ الأنبياء مُكلّفون بإقامة القسط في المجتمع، والآية التالية تكفي لإثبات الموضوع حيث يقول عزّ وجلّ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنا رُسُلَنا بِالْبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الْكِتابَ وَالْمِيزانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[٢].

مع ذلك، نجدهم وللأسف قد وجّهوا الآية المذكورة بالنحو التالي: «كما هو واضحٌ فإنّه يُفهم من هذه الآية المباركة بأنّ إرسال الرُسل لم يكن إلّا من أجل التعليم والتعاليم الراقية للعدالة، وذلك كي يُوفّروا للناس من خلال هذه الآيات البيّنات إرشاداتٍ مكتوبةٍ ومدوّنةٍ تُرشدهم إلى المعايير والموازين الصحيحة لطائر العدالة السامي، وعندها سيقومون بالعدل والقسط عن فهمٍ واطّلاعٍ، ويُصبح ترجمة [ومعنى] الآية بهذا النحو: نحن أرسلنا الرُسل ومعهم العلائم التي أرسلناها، ومعهم الكتاب والميزان كي يقوم الناس بأنفسهم بالعدل والقسط»[٣].

وقد طرح هذا الكلام المهندس بازرگان أيضًا، حيث يقول: «إنّ معنى الآية والمراد منهاليس كما قام البعض بتصويره وتبليغه، بأنّه على الناس أن

---

(١) مجمع البحرين، ص ٩٢.

(٢) سورة الحديد (٥٧)، الآية: ٢٥.

(٣) مهدي حائري، [الحكمة والحكومة] فارسي، ص ١٤٠.

يتعبّؤوا من أجل محاربة الظلم والاستبداد والاستكبار من خلال بسط العدالة والديانة في الدنيا، بل على نفس الناس من خلال أخلاقهم وتصرّفاتهم أن يعملوا بالعدالة والقسط»[١].

ولكن يبقى السؤال: هل يُمكن أن تُحَقّق العدالة بدون إصلاح المجتمع والإمساك بزمام أمور المؤسّسات الحكوميّة؟!

يقول الإمام الخميني (رحمه الله) المُفسّر العظيم للقرآن الكريم حول الآية المذكورة ما يلي: «يقول الله تبارك وتعالى بأنّنا أرسلنا الأنبياء وأعطيناهم البينات، وكذلك أعطيناهم الآيات والميزان ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ فإنّ الغاية هي أن يقوم الناس بالقسط وأن تكون العدالة الاجتماعيّة قائمةً وأن يزول الظلم والاضطهاد وأن يتمّ الاهتمام بالفقراء وأن يكون القيام بالقسط، ثمّ يقول بعد ذلك ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾، فما هي المناسبة؟ إنّ المناسبة هي أنّ هذه الأمور يجب أن تتمّ بالحديد، فتتمّ هذه الأمور بالبيّنات وبالميزان وبالحديد ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾، أي إذا أراد شخصٌ أو جماعةٌ إفساد المجتمع أو إفساد حكومة العدل فلا بدّ من الحديث معهم بالبيّنات، فإن لم يسمعوا فبالموازين أي الموازين العقليّة، فإن لم يسمعوا فبالحديد»[٢].

ويرى سماحة الأستاذ الشهيد مرتضى مطهّري (رحمه الله) بأنّ نشر

---

(١) [مجلّة كيان]، العدد ٣٢،ص ٥٤.

(٢) راجع: [صحيفة الإمام] ج ١٥، ص ١٨٧.

العدالة ومحاربة الظلم بمنزلة المعيار الذي يُميّز النبيّ عن غير النبيّ، ويُعدّ ذلك من الأدلّة على صدق كلامه[١].

وطبعًا هذا الكلام لا يعني أنّ الأنبياء دنيويّون، فتشكيل الحكومة والتدخّل في الأمور الاجتماعيّة لا يُعتبر هدفًا أساسيًّا وذاتيًا لهم، ويرى الإمام الخميني (رحمه الله) بأنّ الهدف الأصلي والذاتي للأنبياء والذي هو مقصودهم بالقصد الأوّلي يختلف عن الأهداف التبعيّة، فيقول: «جميع الأشياء التي أتى بها الأنبياء لم تكن هي غايتهم، فتشكيل الحكومة ليس مقصودًا بالذات للأنبياء»[٢].

ومع الالتفات إلى كون الأنبياء مصلحون، وإلى مواجهتهم للمفاسد الاجتماعيّة، يُمكن القول: إنّ الأنبياء لم يكونوا يتجاهلون المسائل التي تدور حولهم، بل كانوا يقومون في كثيرٍ من الأحيان بردة فعلٍ عليها، فالقرآن المجيد يقول على لسان شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾[٣]، ومن هنا نجد أنّه عليه السلام حارب التطفيف والاستغلال الاقتصادي الذي كان من المفاسد الرائجة في ذلك العصر وقال بالصراحة: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ

---

(١) مرتضى مطهّري، [مجموعة الآثار] فارسي، ج ٢، ص ١٦٧.

(٢) راجع: [صحيفة الإمام]،ج ٣،ص ٢٢٤ -٢٢٦.

(٣) سورة هود (١١)، الآية: ٨٨.

تَأْوِيلًا﴾[١].

وحينما تهيّأت ظروف تشكيل الحكومة لبعض الأنبياء، أقدموا على ذلك، ويُمكن الإشارة في هذا الصدد إلى كلٍّ من سليمان ويوسف وداوود وآل إبراهيم، وقد نُقل في القسم السابق عن أحد الحداثوين بأنّه يرى أنّ هذه الأمور استثنائيّة[٢]. فإذا كان تشكيل الحكومة يُعدّ أمرًا غير دينيٍّ، فنفس هذا العدد المحدود والاستثنائي من الأنبياء لم يكن ينبغي لهم أن يستلموا الحكومة أيضًا.

إنّ الفهم العامّ والمألوف عند المسلمين من الإسلام (وهو ما يُعبّر عنه بارتكاز المتشرّعة) هو أنّ نطاق تعاليم الإسلام منّذ بداية ظهور الإسلام وحتّى الآن كان واسعًا ويشمل جميع أبعاد وجوانب الحياة البشريّة وخاصّة الحكومة والسياسة ويُمكن البحث عن منشأ هذا الفهم العامّ في أمرين واقعيين:

١ـ تشكيل الحكومة من قبل النبي (صلّى الله عليه وآله).

٢ـ موقف الإسلام في جميع الميادين السياسية والمسائل الحكومية.

فمشروعيّة حكومة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وخلافًا لتصوّر البعض لم يكن بسبب انتخاب الناس واختيارهم، فالإمامة والزعامة السياسيّة في عهد الرسالة لم تكن بناءً لاتفاق آراء جميع المسلمين أو بانتخاب الناس، والبيعة

---

(١) سورة الشعراء (٢٦)، الآية: ١٨١.

(٢) [مجلّة كيان]، العدد ٣٢، ص ٦.

كانت فقط بهدف تقوية الحكومة وتدخل الناس في الأمور التنفيذية، فزعامة وقيادة النبيّ (صلّى الله عليه وآله) السياسيّة نشأت من مقام نبوّته، وسيرة الأئمّة الأطهار (عليهم السلام)، وتشكيل الحكومة من قبل الإمام علي (عليه السلام)، وعهد الإمام إلى مالك الأشتر، وحكومة الإمام الحسن (عليه السلام)، والثورة الداميّة للإمام الحسين وعدم اعترافه بشرعيّة حكومة باقي الحُكّام في زمانه، فهذه كلّها تحكي عن صحّة الادعاء بأنّ الأئمّة الأطهار (عليهم السلام) لم يكونوا يتجنّبوا إعمال الولاية عندمايُمكنهم ذلك، ولإتقان المطالب أكثر، لا بدّ أن نبحث فكر سماحة الإمامكي تتمّ الإجابة على العديد من الشبهات المطروحة في ظلّ فكره.

٦- بيان فكر الإمام الخميني (ره) وإثبات الارتباط بين الدين والسياسة

إنّ أحد الجهود القيّمة التي قام بها الإمام الخميني (رحمه الله) هو شرح وتفهيم مسألة ارتباط الدين والسياسة، فالإمامحينما قام بهذه الحركة والثورة الفكريّة كانت نظريّة الفصل بين الدين والسياسة مطروحةً لسنواتٍ بين المسلمين وحتّى بين علماء الدين، وكان هناك اعتقاد بها.

يقول الإمام الخميني (رحمه الله) حول ذلك ما يلي:«وكم هي عدد السنوات التي روَّجوا فيها لذلك! حتّى إنّنا نحن العلماء صدّقنا أيضًا بأنّه ما لنا وللسياسة، ومعنى ذلك أن نضع الإسلام جانبًا من الأساس، وإذا وُضع الإسلام جانبًا دُفن الإسلام في غرفِنا هذه، فإنّ هؤلاء يتمنون أن يكون الدين مفصولًا عن السياسة، وهذا أمر ابتدعه السياسيّون منذ البداية، وقد روّجوه بين الناس بحيث إنّنا نحن الموجودين هنا قد صدّقنا بأنّه لا علاقة لنا بالسياسة، وراح

بعضنا يقول: اتركوا السياسة لأهلها»[١].

وفي ظلّ هذه الظروف نجد أنّ الإمام(رحمه الله) كتب سنة ١٩٤١م كتابه القيّم «كشف الأسرار» كإجابة على الشبهات المتفرّقة لكتاب «أسرار هزار ساله» [أسرار ألف سنة]، وأكّد فيه على إشراف الدين على الأمور الإجرائيّة والسياسيّة للدولة، وبعد إبعاده إلى النجف الأشرف، وفي أوّل محاضرةٍ له أعلن بنحوٍ رسميٍّ بأنّ الإسلام برنامجٌ يتمتّع بالحياة، وأنّ الإسلام يمتلك برنامج للحكم[٢].

وقد اعتبر الإمام في آثاره الفقهيّة ومن بينها كتاب «البيع» أنّ للفقهاء رسالةً أعلى من الإشراف، حيث عدّ تشكيل الحكومة واجبًا عليهم، وقد بحث مسألة الحكومة السياسية في كتاب «تحرير الوسيلة» (التي تعتبر رسالته الفقهية) وذلك في بحث الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقال بالصراحة: «في عصر غيبة وليّ الأمر وسلطان العصر ـ عجّل اللّه فرجه الشريف ـ يقوم نوّابه العامّين؛ وهم الفقهاء الجامعون لشرائط الفتوى والقضاء، مقامه في إجراء السياسات وسائر ما للإمام عليه السلام إلّا البدأة بالجهاد»[٣]، وقد طرح في كتاب «ولاية الفقيه» مباحث الحكومة الإسلاميّة بنحوٍ مشروحٍ، وأكّد فيها

---

(١) راجع: [صحيفة الإمام]،ج ٣، ص ٢٩٩.

(٢) حميد روحاني، [نهضة الإمام الخميني] فارسي، ج ٢، ص ١٥٧.

(٣) الإمام الخميني، تحرير الوسيلة، ج ١، ص ٤٢٨.

بالأدلّة العقليّة والنقليّة المختلفة على ضرورة تشكيل الحكومة، وقد تعرّض الإمام(رحمه الله) من جهةٍ إلى آثار الفصل بين الدين والسياسة ونتائج ذلك، ومن جهةٍ أخرى قام بعرض الأدلّة المتقنة لإثبات ارتباط الدين والسياسة، حيث يرى الإمام(رحمه الله) في القسم الأوّل العواقب والآثار التالية للفصل بين الدين والسياسة:

١- تدمير الأمم:

يقول الإمام الخميني (رحمه الله): «لقد سعى هؤلاء الطامعون المُخادعون ومن خلال عملائهم المسمَّون بالحداثيّين، إلى عزل الإسلام وإبعاده عن الساحة السياسيّة والاجتماعيّة، كما هو الحال في المسيحيّة المنحرفة، فجعلوه ينزوي، وحبسوا تفكير علماء الدين في نطاق المسائل العبادية فقط، و...، وقد نجحوا في ذلك نجاحًا كبيرًا واستطاعوا استغلال هذا الجهل وهذه الغفلة أيّما استغلال، فجعلوا بلاد المسلمين إمّا مستعمراتٍ لهم، وإمّا راحوا يَنهبون ثرواتها ويستغلونها، ووضعوا في كل بلدٍ منها حاكمًا أو سُلطانًا أو مَلِكًا، ثمّ ومن خلالهم عملوا على استضعاف الأمم واستغلال ثرواتهم، من خلال التبعيّة والفقر والفاقة ومن خلال تعاليمهم»[١].

٢- محدوديّة الفقاهة:

يقول الإمام(رحمه الله): «وعندما شاع شعار الفصل بين الدين

---

(١) راجع: [صحيفة الإمام]ج ١٨،ص ٨١.

والسياسة وأضحت الفقاهة في منطق غير الواعين، هي الانغماس في الأحكام الفرديّة والعباديّة، وبالضرورة لم يعد يحقّ للفقيه الخروج من هذا السياق وهذه الدائرة ولا أن يتدخّل في السياسة والحكومة»[١].

٣- إهمال الأحكام السياسيّة للإسلام ونسيانها:

ومع وضع المسائل السياسيّة الإسلاميّة جانبًا فسوف تُنسى هذه الأحكام بالتدريج، يقول الإمام(رحمه الله): «تقريبًا أكثر أبواب الفقه قد تُرك من الناحية العمليّة، لقد كتبت تلك الأبواب في الكتب ولكنّها كانت مهجورة، كما أنّ أكثر الآيات القرآنيّة قد كانت مهجورةً هي الأخرى. فكُنّا نتلو القرآن ونُقبّله ثمّ نضعه جانبًا، [فقد وضَعنا جانبًا] تلك الآيات المُتعلّقة بالمُجتمع، والآيات المرتبطة بالسياسة والآيات المتعلّقة بالحرب، وقد تركنا العديد من الآيات لأنّ أكثر الآيات إنّما ترتبط بهذه الأمور، ونحن تركناها منسيّةً، أي إنّهم أجبرونا على جعلها منسيّةً»[٢].

وفي قسمٍ آخر من حديثه يُؤكّد الإمام الراحل رحمه الله لإثبات نظريّته على ثلاثة أمورٍ مهمّة وأساسيّة؛ يعني: جامعيّة الإسلام، وماهيّة قوانين الإسلام وكيفيّتها، وسيرة النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله.

ولكن قبل أن نعمد إلى توضيح الأدلّة المذكورة، لا بدّ لنا من التذكير

---

(١) راجع: [صحيفة الإمام] ج ٢١، ص ٢٥٤.

(٢) راجع: [صحيفة الإمام]ج ١٥، ص ١٧.

بهذه النقطة وهي أنّه حتّى لو لم يكن لدينا دليلٌ على المشاركة في الأمور السياسيّة، فإنّ الحاجة الفطريّة للإنسان تحكم بأن نقول بذلك، فمطالعة تاريخ البشر يُبيّن أنّ الإنسان بما أنّه اختار الحياة الاجتماعيّة لذا فهو مُجبرٌ على أن يُلبّي حاجاته من خلال نظامٍ اجتماعيٍّ ومن خلال التعاون في ذلك النظام، ومن جهةٍ أخرى، إنّ التعارض والتزاحم بين رغبات الناس ورغبتهم بالتسلّط، يؤكّد الحاجة إلى القوانين الاجتماعيّة، وحتّى الحكومة غير الصالحة والتي تُهيمن وتتسلّط أحيانًا، فرغم كلّ نتائجها وشرورها، تبقى أفضل من الهَرَج والمَرج وعدم الانتظام والفوضى، ومن هنا نجد أنّ الإمام علي عليه السلام يقول: «لا بدّ للناس من أميرٍ: برٍّ أو فاجرٍ»[١].

يرى العلّامة الطباطبائي أنّ تشكيل الدولة الإسلاميّة أمرٌ فطريٌّ، وبالاستناد إلى آية ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٢] يُبيّن بأنّ نظام الإسلام نظامٌ فطريٌّ وأحكامه منطبقةٌ مع الفطرة البشريّة، ويقول: «إنّ الحاجة إلى تشكيل الحكومة فطريّةٌ إلى درجة أنّنا نجد أنّ الناس كانوا يطرحون العديد من الأسئلة في مجال الحيض والهلال والإنفاق والمسائل الأخرى العاديّة وكان النبيّ يُجيبهم عليها، وحينما بدأ نبيّ الإسلام بعد الهجرة إلى المدينة بالعمل على إيجاد الدولة الإسلاميّة، لم نجد

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٤٠.

(٢) سورة الروم (٣٠)، الآية ٣٠.

رغم ذلك أيّ سؤالٍ حول هذا الأمر، ولم نجدهم يُطالبون بإيضاحٍ لذلك، فلم يُسمع في أيّ مرّةٍ أنّ شخصًا كان يقول: لا حاجة إلى أصل نصب الخليفة، أو لا دليل على لزوم ذلك؛ لأنّ الجميع يشعرون بدافع الفطرة بأنّ عجلة المجتمع لا يُمكنها أن تدور لوحدها من دون يُديرها أحدٌ، ودين الإسلام يُمضي إمضاءً قاطعًا على هذه الواقعيّة، وهي أنّه لا بدّ من وجود حكومةٍ في المجتمع الإسلامي»[١].

ومن هنا، يرى الإمام الخميني رحمه الله أنّ ولاية الفقيه التي هي تجلٍّ لارتباط الدين والسياسة من الأمور البديهيّة، ويقول: «إنّ ولاية الفقيه من المواضيع التي يكفي تصوّره اللتصديق بها، ولذا فهي ليست بحاجةٍ إلى برهان»[٢].

بعد هذه المقدّمة سنُلقي نظرة على البراهين المذكورة:

١- جامعيّة الإسلام:

لقد أكّد الإمام الخميني (رحمه الله) في عددٍ من المواطن المختلفة من خلال طرح مسألة جامعيّة الإسلام، على ضرورة عرض الفكر السياسي للإسلام، ويرى أنّ نظريّة فصل الدين عن السياسة ليست إلّا نتيجة للغفلة عن هذه النقطة المهمّة، ويقول بهذا الصدد: «لقد أعلنوا أنّ الإسلام دينٌ لا يتحلّى

---

(١) العلامة الطباطبائي، [بحوث إسلاميّة] فارسي، ص ١٦٩ - ١٧٧.

(٢) الإمام الخميني،[ولاية الفقيه] فارسي، ص ٣.

بالجامعيّة، وأنّه ليس دين حياة، وليس فيه أنظمةٌ وقوانين للمجتمع، ولم يأتِ بنحوٍ يتناسب مع الحكومة والقوانين الحكومية»[١].

وفي مكانٍ آخر يقول: «الإسلام والحكومة الإسلاميّة ظاهرةٌ إلهيّة، ويُؤمِّن العمل بها سعادة أبناءه في الدنيا والآخرة بأفضل وجه، وباستطاعتها أن تشطب بالقلم الأحمر على كل المظالم واللصوصيّات والمفاسد والاعتداءات، وأن توصل الإنسان إلى كماله المطلوب. و[الإسلام] مدرسةٌ ومنهجٌ على خلاف المدارس والمناهج ـ غير التوحيديّة ـ حيث يتدخّل في جميع الشؤون الفرديّة والاجتماعيّة والماديّة والمعنويّة والثقافيّة والسياسيّة والعسكريّة والاقتصاديّة ويُشرِف عليها، وهو لم يُهمِل أيّة نقطةٍ ـ ولو كانت صغيرةً جدًا ـ ممّا له دخل في تربية الإنسان والمجتمع أو في تقدّمه المادّيّ والمعنويّ»[٢].

وكلام الإمام هذا، مُستلهمٌ من خطبة نبيّ الإسلام الأكرم (صلّى الله عليه وآله) حيث قال في حجّة الوداع: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ وَاللَّه مَا مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّة وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا وَقَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ وَمَا مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّة إِلَّا وَقَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْه»[٣].

والإمام(رحمه الله) لا يعتبر فقط بأنّ النظام السياسي جزءٌ من أحكام

---

(١) المصدر السابق، ص ٤.

(٢) راجع: [صحيفة الإمام]،ج ٢١،ص ٣٦٢.

(٣) أصول الكافي، ج ٣، ص ١١٨.

الإسلام وحسب، بل يعتقد بأنّ الأحكام السياسيّة للإسلام تُشكّل جزءاً كبيرًا من مدرسة الإسلام، وبرفضها سيُصبح الدين الإسلامي ناقصًا، ومن هنا فهو يقول بهذا الصدد ما يلي: «لقد وردت من الآيات والروايات في السياسة ما لم يرد مثله في العبادة مثلًا، فلاحظوا أنّ من بين أكثر من خمسين كتابًا فقهيًا، هناك سبعةٌ أو ثمانيةٌ منها فقط ترتبط بالعبادات، والباقي يرتبط بالسياسة والاجتماع والمعاشرة وأمثالها...»[١]، ويقول في موطنٍ آخر: «إنّ جميع أحكامه ممزوجةٌ بالسياسة...، فصلاته ممتزجةٌ بالسياسة؛ وحجّه ممتزجٌ بالسياسة؛ وزكاته سياسةٌ وإدارةٌ للدولة»[٢].

٢- ماهيّة أحكام الإسلام:

بما أنّ قوانين الإسلام إنّما وضعت من أجل إدارة النظام الاجتماعي والسياسي والعسكري والاقتصادي والثقافي، فتنوّع الأحكام وتكثّرها في المجالات المختلفة يتطلّب مؤسساتٍ حكوميّةً، ويرى الإمام أنّ ماهيّة هذه القوانين وكيفيّتها تُشكّل دليلًا على لزوم تشكيل الحكومة، ويُشير في هذا المجال إلى الأحكام الماليّة من قبيل الخمس والجزية والخراج وأحكام الدفاع عن الأمّة، وإحقاق الحقوق والأحكام الجزائيّة[٣].

---

(١) راجع: [صحيفة الإمام] ج ٦ ص ٤٢.

(٢) راجع: [صحيفة الإمام]،ج ٣ ص ٤٣٢.

(٣) الإمام الخميني، [ولاية الفقيه] فارسي، ص ٢٠ - ٢٥.

إنّ أوامر الإسلام لا يُمكن إجراؤها إلّا إذا تحقّق نظامٌ سياسيٌّ فعّالٌ، ونحن أنفسنا شهدنا كيف أنّ الدين لم يكن له أيّ حضورٍ في زمن النظام الطاغوتي في مجال السياسة، فبقي العديد من أحكام الإسلام معطّلًا، ولذا نجد أنّ بعض الروايات تُعرّف الولاية ـ التي هي منصبٌ سياسيٌّ ـ على أنّها مفتاح الفرائض الدينيّة، فقد رُويَ عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ عَلَى الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالصَّوْمِ وَالْوَلَايَةِ قَالَ زُرَارَةُ: فَقُلْتُ: وَأَيُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: الْوَلَايَةُ أَفْضَلُ لِأَنَّهَا مِفْتَاحُهُنَّ»[١].

يرى الإمام(رحمه الله) بأنّ أحد المفاسد لعدم الاهتمام بالحكومة والتنظيمات الحكوميّة، هو تعطيل أحكام الإسلام، ويقول:«لأنّنا في السابق لم نعمل ولم ننهض سويّةً لتشكيل الحكومة، ولم نعمل على إسقاط تسلّط الحُكّام الخائنين والفاسدين...، قلَّ نفوذ حاكميّة الإسلام في المجتمع، وابتُليت الأمّة الإسلاميّة بالتفرّق والضعف، وصارت أحكام الإسلام معطلةً لا تُجرى»[٢].

٣- السيرة العمليّة للنبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله):

إنّ أسس النظام السياسي في الإسلام كانت توضع بيد النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله)، وقد تمسّك الإمام في مواطن مختلفة بهذه السيرة، وقال:

---

(١) أصول الكافي، ج ٣، ص ٣٠.

(٢) الإمام الخميني، [ولاية الفقيه]فارسي، ص ٣٢.

«إنّ مجموعة القوانين لا تكفي لإصلاح المجتمع، ولكي يكون القانون مادّةً لإصلاح البشر وسعادتهم، فهو بحاجةٍ إلى السلطة التنفيذيّة، ولذا فإنّ الله عزّ وجلّ قد جعل في الأرض إلى جانب مجموعة القوانين ـ يعني: أحكام الشرع ـ حكومةً وجهازًا تنفيذيًا وإدارةً، وكان الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) على رأس جميع التشكيلات التنفيذيّة والإداريّة التي في مجتمع المسلمين...، ولم يكتفِ في ذلك الزمان مثلًا ببيان القانون الجزائي وحسب، بل عمل على تنفيذه أيضًا»[١].

ويقول سماحته في مكانٍ آخر: «ومنذ صدر الإسلام منذ زمان رسول الله وإلى الوقت الذي لم يكن هناك انحرافٌ في البين، كانت السياسة مقرونةً بالديانة وتوأمًا لها، وعلى هؤلاء المُعمّمين من حاشية السلطان وهؤلاء الحُكّام الأميركيّين أو السوفيتيّين، إمّا أن يُغلّطوا النبيّ وخلفاءه والأنبياء وخلفاءهم أو يُغلّطوا أنفسهم وحكوماتهم، فالأمر دائرٌ بين هذين الاحتمالين، ولا يخرج عنهما»[٢].

ويقول سماحته في موطنٍ آخر: «إنّ النبيّ... قد صرف عمره بأجمعه في الأمور السياسيّة الإسلاميّة، ثمّ أسّس الحكومة الإسلاميّة...، والفترة التي قضاها (صلّى الله عليه وآله) في مكّة لم يكن بإمكانه تأسيس الحكومة إلّا أنّه

---

(١) الإمام الخميني، [ولاية الفقيه] فارسي، ص ١٧.

(٢) راجع: [صحيفة الإمام] ج ١٧،ص ١٦٧.

كان مشغولًا بجمع الأفراد وإعدادهم، فكان مشغولًا بالسياسة بصورةٍ سريّة، وعندما رأى أنّ الأمور صارت مستتبّةً، وكان قد جاء إلى المدينة، عندها قام بتشكيل الحكومة»[١].

ويقول الإمام(رحمه الله) في موطنٍ آخر: «فهل كان الدين مفصولًا عن السياسة في عصر النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم؟ وهل كان يومذاك مجموعةٌ هُم رجالُ دينٍ وآخرون سياسيّون؛ وكذا في زمن خلفاء الحقّ وغير الحقّ، ففي زمن خلافة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام هل فُصلت السياسة عن الدين؟ وهل كان هناك جهازان؟ إنّ هذا الكلام من صنيعة المستعمرين وعملائهم السياسيّين، بثّوه من أجل أن يعزلوا الدين عن التصرّف في أمور الدنيا وعن تنظيم مجتمع المسلمين وكي يفصلوا في الضمن علماء الإسلام عن الناس وعن المناضلين في طريق الحريّة والاستقلال،حيث في هذه الحالة فقط يُمكنهم أن يتسلّطوا على الناس وأن يُغيروا على ثرواتنا، هذا هو مراد هؤلاء»[٢].

وهذا الفهْمُ الذي فهمه الإمام(رحمه الله) لسيرة النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، مبنيٌّ على روايةٍ مرويّة عن الإمام الصادق (عليه السلام) يقول فيها: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَدَّبَ نَبِيَّهُ فَأَحْسَنَ أَدَبَهُ فَلَمَّا أَكْمَلَ لَهُ الْأَدَبَ قَالَ:﴿إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ

---

(١) راجع: [صحيفة الإمام]ج ١٧،ص ١٦٧.

(٢) الإمام الخميني، [ولاية الفقيه] فارسي، ص ٢٣.

عَظِيمٍ﴾ثُمَّ فَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَ الدِّينِ وَالْأُمَّةِ لِيَسُوسَ عِبَادَهُ»[١].

ويدعو الإمام(رحمه الله) المسلمين أن يتأسّوا بسيرة النبيّ في مسألة التدخّل في الأمور السياسيّة، فيقول: «ينبغي على المسلمين أن يُطالعوا سيرة الأنبياء وخصوصًا سيرة النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله)، فعليكم أن تروا ماذا فعلوا، ثمّ يجب علينا التأسّي بهم، فإن جاء النبي وجلس في مسجد المدينة وحسب ولم يفعل شيئًا سوى قراءة القرآن ولم يقم بباقي الأعمال، لكُنّا تأسّينا به وحذونا حذوه، لكنّ الحقيقة أنّه خاض النضال والمواجهة منذ بداية الدعوة في مكّة المكرّمة إلى أن أتى إلى المدينة وقام بتشكيل الحكومة فيها، ثمّ قام بإرسال المبلّغين، أرسلهم إلى جميع الأصقاع والأمصار التي تصل يده إليها»[٢].

وفي نفس الوقت الذي كان الإمام(رحمه الله) يُؤكّد على ضرورة التدخّل في الأمور السياسيّة، لم يغفل عن الشُبهات التي كانت تُطرَح من قبل المؤيّدين لفصل الدين عن السياسة، فكان يُجيب عليها ببياناتٍ مختلفة، وقد أعلن الإمام بالصراحة بأنّ إنكار ضرورة تشكيل الحكومة هو إنكارٌ للدين الإسلامي المبين، قال: «إنّ كلّ من يقول بأنّه لا ضرورة لتشكيل الحكومة الإسلاميّة، فهو يُنكر ضرورة إجراء الأحكام، ويُنكر جامعيّة الأحكام وأبديّة

---

(١) أصول الكافي، ج ٢، ص ٥.

(٢) راجع: [صحيفة الإمام]، ج ٢٠ص ٣٣١.

الدين الإسلامي المُبين»[١].

ويقول الإمام في الردّ على توهّم الاستبداد الديني ما يلي: «إنّ الحكومة الإسلاميّة ليست من نمط أيٍ من الحكومات الموجودة، فليس هناك استبدادٌ بحيث يستبدّ برأيه رئيس الدولة، فيتلاعب بأموال الناس وأرواحهم، ويتصرّف فيها كما يهوى قلبه»[٢]، ويقول في موطنٍ آخر: «إنّ الفقيه إذا عصى ولو معصيةً صغيرةً، سقط عن الولاية؛ وهل الولاية شيءٌ يسيرٌ يعطونه كائناً من كان؟! إنّ الذين يقولون: ستكون دكتاتوريّةً، لا يعلمون أنّ الحكومة الإسلاميّة ليست حكومة دكتاتوريّة، إن الدين يقف بوجه الدكتاتوريين، والإسلام يقف بوجه الدكتاتوريّين، ونحن نريد الفقيه ليقف في وجه الدكتاتوريين»[٣].

ويُجيب سماحة الإمام(رحمه الله) على شبهة الاتجاه الدنيوي للحداثيّين بما يلي: «إنّ الإمساك بزمام الحكومة في حدّ ذاته ليس شأنًا ومقامًا، بل هو وسيلةٌ للقيام بالتكليف بتنفيذ الأحكام وإرساء نظام الإسلام العادل»[٤]،«إنّ ربط الدنيا بالآخرة والديانة بالسياسة يُعدّ أهم رسالةٍ للأديان

---

(١) الإمام الخميني، [ولاية الفقيه]، ص ٢٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٢.

(٣) راجع: [صحيفة الإمام]ج ١١،ص٢٥١.

(٤) الإمام الخميني، [ولاية الفقيه] فارسي، ص ٤٤.

الإلهيّة، وهذا الأمر يعتبر مهارةً من قبل الإسلام ومنهج القرآن، وطبعًا فإنّ الهدف الأصلي للدين هو الوصول إلى القلل الرفيعة للمعنويّة والكمال، وأمّا تحقّق هذا الهدف في المجتمع البشري فيستلزم تشكيل الحكومة وإصلاح النظام المعيشي» ويُجيب الإمام(رحمه الله) على الأشخاص الذين يدّعون بأنّ الأنبياء لم يأتوا لإقامة القسط وإنّما جاءوا لكي يهيؤوا الظروف من أجل أن يُقيم الناس بأنفسهم القسط، بالقول: «وهل يُمكن القيام بالقسط وإدخال الناس إلى القسط دون التدخّل في الأمور السياسيّة؟! وهل يُمكن ذلك بدون التدخّل في السياسة وفي شؤون الناس الاجتماعيّة وفي احتياجات الأمم؟! فهل يقوم بالقسط من لا يتدخّل بهذه الأمور؟! هل يُمكن عندها أن ﴿يَقومَ النّاسُ بالقِسْط﴾؟!»[1].

---

(1) راجع: [صحيفة الإمام]ج ١٥،ص ١٨٨.

وصية أخلاقية
في تقبل الانتقاد ورفض الثناء

بني :

أحياناً أرى أنك تظهر الانزعاج والقلق من التهم المؤلمة وترويج الشائعات الكاذبة..

أولاً: يجب أن أقول لك.. ما دمت حياً وتتحرك ويراك الآخرون منشأ تأثير فإن الانتقاد والتهمة واختلاق الشائعات ضدك أمور لا يمكن اجتنابها..

العُقد كثيرة.. والتوقعات المتزايدة وألوان الحسد كثيرة.. من كان له دور فاعل حتى إذا كان لله مائة بالمئة فلن يمكنه أن يكون بعيداً عن تجريح أصحاب الأهواء السيئة .

أنا شخصياً أعرف عالماً جليلا تقيا، لم يكن يقال عنه طيلة الفترة التي سبقت وصوله إلى رئاسة جزئية إلا الخير ـ نوعاً ما ـ وتقريباً كان مقبولاً عند أهل العلم وغيرهم. بمجرد أن توجهت النفوس إليه وحصل على مكانة دنيوية، ولو أنها لا تكاد تذكر بالنسبة إلى مقامه (المعنوي)، أصبح مورداً للتهمة والأذى وأنواع الحسد وغلت (مراجل) العقد ضده، وظل حاله كذلك طيلة الفترة التي أمضاها على قيد الحياة..

وثانياً: يجب أن تعلم أن الإيمان بوحدة الإله ووحدة المعبود ووحدة المؤثر لم يصل-كما ينبغي - إلى قلبك.. إبذل الجهد لتصل كلمة التوحيد - التي هي أعظم كلمة وأسمى جملة - من عقلك إلى قلبك.. فإن حظ العقل هو ذلك الاعتقاد البرهاني الجازم.. وإذا لم يصل حاصل هذا البرهان بالمجاهدة

والتلقين إلى القلب فإن فائدته وأثره لا يكادان يذكران..

كثيراً ما يكون بعض هؤلاء، أصحاب البرهان العقلي والاستدلال الفلسفي أكثر من غيرهم في شَرَك إبليس والنفس الخبيثة "أرجُل الاستدلاليين خشبية" (٧ ـ *ترجمة صدر بيت لمثنوي وترجمة عجزه: والأرجل الخشبية لا يقر لها قرار.). ولا تتبدل هذه الخطوة البرهانية والعقلية بخطوة روحانية وإيمانية إلا عندما تصل من أفق العقل إلى مقام القلب ويقبل القلب ما أثبته الاستدلال العقلي..

بني :

عليك بالمجاهدة لتودع القلب عند الله، ولا ترى مؤثراً غيره.. أوليس عامة المسلمين المتعبدين يصلون في اليوم والليلة عدة مرات ـ والصلاة زاخرة بالتوحيد والمعارف الإلهية ويقولون عدة مرات في اليوم والليلة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(الفاتحة/٥). ويتلفظون أن العبادة والإعانة مختصتان بالله..

إلاّ أنهم يتذللون ويتزلفون لكل عالم وقوي وثري، إلاّ المؤمنون بحق وخواص الحق سبحانه.

وأحياناً يأتون بأكثر مما يأتون به للمعبود.. ويستمدون العون من كل شخص ويتمسكون بكل قشة من أجل آمالهم الشيطانية وهم غافلون عن قدرة الحق..

بناءً على هذا الاحتمال: يكون مورد الخطاب في ((يَاأَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لغَد وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) متوجهاً إلى الأشخاص الذين وصل الإيمان إلى قلوبهم.....

هذه التقوى ليست التقوى عن الأعمال غير اللائقة. إنها التقوى عن التوجه إلى غيره.. تقوى عن الاستمداد من غير الحق والعبودية لغيره..

تقوى عن فسح المجال لغيره جلّ وعلا إلى القلب، تقوى عن الاتكال والاعتماد على غيره..

هذا الذي ترى أننا ـ نحن وأمثالنا ـ مبتلون به، ويؤدي إلى خوفي وخوفك من الشائعات ونشر الأكاذيب والخوف من الموت والتحرر من الطبيعة و.... هو من هذا القبيل الذي يجب الاتقاء منه..

وفي هذه الصورة فإن المراد من ﴿..وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لغَد..﴾(الحشر/١٨) الأفعال القلبية التي لها في الملكوت صورة، وفوق ذلك أَيضًا صورة.. والله خبير بخطرات قلوب الجميع..

وهذا لا يعني أن يترك الإنسان الفعالية ويهمل تربية نفسه، ويجتنب كل شخص وكل شيء ويختار العزلة.. على خلاف السنة الإلهية والسيرة العملية لحضرات الأنبياء العظام والأولياء الكرام..

هم عليهم صلوات الله وسلامه.. بذلوا في سبيل الأهداف الإلهية والإنسانية كل الجهود اللازمة.. ولكن لا على شاكلتنا نحن عميَ القلوب الذين ننظر إلى الأسباب على نحو الاستقلال..

بل كانوا يعتبرون كل شيء في هذا المجال- وهو من مقاماتهم العادية - منه جل وعلا..

وكانوا يرون الاستعانة بكل شيء استعانة بالمبدأ.. وأحد الفوارق بينهم وبين الآخرين هو هذا.. أنا وأنت وأمثالنا ننظر إلى الخلق والاستعانة بهم غافلين عن الحق تعالى..

وهم كانوا يرون الاستعانة به في الواقع، حتى إذا كانت في صورة الاستعانة بالأدوات والأسباب وكانوا يرون الحوادث منه رغم أن الأمر في الظاهر عند أمثالنا غير ذلك..

ومن هنا فإن الحوادث مهما كانت منغصة فإنها كانت عندهم هنيئة..

بني :

هناك أمر يثلج أفئدتنا نحن المتخلفين عن "قافلة الأبرار" وهو ـ في ما أرى ـ قد يكون دخيلاً في بناء من يكون بصدد بناء نفسه..

يجب أن ننتبه إلى أن منشأ فرحنا بالمدح والثناء واستيائنا من الإنتقادات والشائعات هو حب النفس الذي هو أخطر شراك إبليس اللعين ..

نحن نميل أن يكون الآخرون مداحين لنا.. حتى ولو صوَّروا أفعالنا العادية، وحسناتنا المتخيلة أكبر من حجمها بمئات المرات..

ونحب أن تكون أبواب انتقادنا ـ ولو بحق ـ موصدة أو يتحول انتقادنا إلى مديح .

ننزعج من الحديث عن معايبنا لا لأنها ليست حقا، ونفرح بالمدح والثناء لا لأنه حق بل لأنه "عيبي أنا" و"مدحي أنا ."

إذا صدر منك أمر ما، وصدر عين ذلك الأمر أو أفضل منه وأسمى من شخص آخر، خصوصاً أولئك الذين هم زملاؤك، وانبري المداحون لمدحه سيكون ذلك مزعجا لك..

وأدهى من ذلك إذا حولوا عيوبه مدائح. في مثل هذه الصورة، تيقَّن أن يد الشيطان والنفس الأسوأ منه هي السبب .

بني :

ما أحسن أن تلقّن نفسك وتقنعها حقيقة واحدة وهي أن مدح المداحين وإطراء المطرين غالباً ما يهلك الإنسان ويجعله بعيداً عن التهذيب وأشدَّ بعداً..

التأثير السيئ للثناء الجميل في نفوسنا الملوثة أساس تعاساتنا والإلقاء بنا نحن ضعفاء النفوس بعيدا عن المحضر المقدس للحق جل وعلا..

ولعل الباحثين عن عيوبنا والمروجين للشائعات ضدنا مفيدون لعلاج معايبنا النفسية ـ وهو كذلك ـ كالعملية الجراحية المؤلمة المفيدة للمريض ..

أولئك الذين يبعدوننا بمدائحهم عن جوار الحق أصدقاء يعبّرون عن عداوتهم بصورة صداقة..

وأولئك الذين يظنون أنهم يعبّرون عن عداوتهم لنا بالذم والفحش واختلاق الإشاعات هم أعداء يصلحوننا ـ إذا كنا أهلاً لذلك ـ إنهم يعبّرون عن صداقتهم لنا بصورة عداوة..

أنا وأنت إذا اقتنعنا بهذه الحقيقة وتركنا الحيل الشيطانية والنفسية نرى الواقعيات كما هي.. عندها سنضطرب من مدح المداحين وثناء أهل الثناء كما نضطرب اليوم من ذم الأعداء وشائعات المغرضين ..

وسنتفاعل مع الذم ونتلقاه كما نتفاعل اليوم مع المدائح والإطراءات ونتلقاها..

إذا وصل إلى قلبك مما ذكر، لن تتألم من المنغصات واختلاق الأكاذيب وستحصل على اطمئنان القلب.. فإن أكثر المنغصات من الأنانية ..

رحمنا الله جميعا بالنجاة منها..

١٧ شوال ١٤٠٤

وثائقيات

الإمام قدس سره كما تصفه

رسالة من أحد العملاء في قم الى مركز الاستخبارات في طهران

معلومات عن روح الله الخميني

ولد السيد روح الله الخميني في قرية خمين ومن هناك سافر الى قم لطلب العلم حيث بقي يدرس فيها سنين عدة ، بعد ذلك توجه الى اصفهان ومكث فيها بضع اعوام ليعود مجددا الى قم ويصبح تلميذا عند الشيخ عبدالكريم يزدي حيث درس الحكمة ووصل الى مرتبة الاجتهاد، كان السيد الخميني عالما متبحرا تخصص في العلوم المنقولة والمعقولة ودرس في البداية العلوم المنقولة فقط مما ادى الى انتقاد بعض العلماء له الا ان الشيخ عبد الكريم يزدي اعلن تاييده له وأمره بتدريس الفقه والاصول وأوكل مهمة تدريس الحكمة الى اية الله قاضي.

بعد وفاة الشيخ يزدي اصبح الخميني احد ابرز اساتذة الحوزة العلمية في قم وأحد الاشخاص الذين يكن لهم البروجردي احتراما كبيرا. فهو رجل في الـ٦٣ من عمره وقور ومهيب ورث من ابيه الشجاعة حيث كان والده احد

اغنياء قرية خمين وشجعانها الذين عارضوا الوالي انذاك وقتلوا على يده، كان متبحرا في العلوم الجديدة عارفا بسياسات العصر، حتى أنه ألف كتابا بين عامي ٢٣ و٢٤(١٩٤٤م) منتقدا فيه صاحب الفخامة الفقيد(*). كان دوما من المعارضين السياسيين، كتب قبل ٥ اعوام رسالة المرجعية واصبح له مقلدون، هو زوج بنت الميرزا محمد ثقفي نوري احد مشايخ طهران والساكن في بامنار في حي صدر اعظم وله من الابناء ثلاثة.

ضرابي ٤٢-٣-٢٩

١٩يناير١٩٦٢

(*) المقصود بالكتاب هو كشف الاسرار والفقيد هو رضا شاه الذي هاجمه الإمام في الكتاب.

***

استجابة عمال مصانع اصفهان لنداء المرجعية

خلال الشهور المنصرمة وقعت ايها الاخوة المسلمون حوادث اشعلت الغضب في نفوس مسلمي العالم وايران، فقد وصلت الوقاحة والفجاجة بالنظام اليزيدي المستبد قاتل شعب ايران وعدو الدين وطلبة العلم ومقدسات الشعب الى هتك حرمة طلبة العلم واهانة المراجع وذلك حين اقدم في ظلمات الليل على اختطاف اية الله العظمى الخميني حفظه الله.

انه لمن البديهي ان عمال مصانع اصفهان المتدينين والمكافحين والذين نجحوا في امتحانهم بمواجهة الظلم والطغيان لن يسكتوا عن هذا النظام المستبد وسيعلنون معارضتهم له وتأييدهم لطلاب العلم والمراجع رغم كل الضغوطات والمصاعب التي يمرون بها .

مع الاسف فقد وصل الحال بهذا النظام الكذاب - والذي تعودنا على نشره للاشاعات- الى دفع الاموال لعدد من العملاء الخونة عديمي الذمة والذين باعوا شرفهم ودينهم لقاء دراهم معدودات، فتظاهروا بانهم عمال مصانع اصفهان الاحرار واجتمعوا يريدون بذلك تشويه سمعتنا واظهارنا على اننا مؤيدون ومناصرون لهذه الحكومة المجرمة الخائنة.

اننا نعلن أمام الملا في هذا البيان اننا نحن ال٥٤ الف عامل اصفهاني بريئون من افعال السلطة اللاانسانية واننا مستعدون لنفدي بارواحنا الدين وحماته خاصة اية الله الخميني حفظه الله، وسنصرخ ملا افواهنا حتى تصل اصواتنا اليهم باننا قوم رضعنا حب المقدسات وكبار الاسلام وعجن ذلك في طينتنا، ونحب ان نطمئنكم ان هذه الاجتماعات المصطنعة والمفضوحة وهذه الدعايات المغرضة لن تحرفنا مقدار انملة عن طريق التضحية والثورة .

فليحيى طلاب العلم الكرام وكبير الشيعة آية الله الخميني.

عمال مصانع اصفهان.

بسم الله الرحمن الرحيم

نتمنى من سيدنا اية الله الشيخ محمد تقي املي ان يعلمنا برايه حول اية الله العظمى الخميني والذي هو احد مراجع عالم الشيعة ومعروف كشخصية علمية مؤمنة وورعة بين مسلمي ايران والعالم حيث اننا نحتاج رايك فيه لحاجة قد عرضت .

عدد من مقلديه

لا يخفى على احد مقام اية الله الخميني العلمي والعملي، فالجميع يعرفه ولا أرى حاجة الى بيان ذلك. انني أعرفه كأحد أفضل المجتهدين ومراجع التقليد وأعلم ان جمعا كثيرا من الشيعة يقلدونه، ندعو الباري أن يديم عليه وعلى امثاله من المشايخ والشيعة الصحة والعافية .

العبد محمد تقي املي

***

علاج الاختلافات بالدين

مع مرور الوقت على تواجد انصار الإمام بالنجف كانت المشاحنات تزداد حتى صار الشجار والتنازع تدريجيا يقع بين الاصحاب في الجلسات، الى ان اخبرنا الشيخ عبدالعلي قرهي ذات يوم أن الامام يدعوكم الى اجتماع ليتحدث معكم في امر خاص، ادركنا انه لابد ان يكون الموضوع هاما للغاية حتى يدعو الامام الجميع .

انطلقنا نحو بيت الامام الساعة التاسعة والنصف، وهناك كان تعامل الامام معنا لطيفا و مليئا بالعطف ،ثم تكلم قائلا بما معناه:

«سمعت ان بين اصحابي في النجف اختلافات في وجهات النظر وهو امر عادي الى حد ما، فهذا الامر كان موجودا دوما وفي كل مكان، اذ لا يمكن ان يمتلك الجميع رأيا وذوقا واحدا، فالاساليب والاذواق تختلف، الا أن هذا التباين يجب أن لا يؤدي إلى الاختصام والتنابذ.

عليكم جميعا ان تجعلوا من رضا الله هدفا تضعونه نصب اعينكم وان تعملوا لله وحده، فهكذا لن يصل الاختلاف في الاراء الى الخصومة، فلو ان جميع الانبياء والرسل الالهيين قد جمعوا في مكان واحد لما تنازعوا فيما بينهم لأن الماديات وهوى النفس لا يهمهم ولا يعنيهم.

عندما يختصم عدة أشخاص ويختلفون فيما بينهم فعليهم ان ينظروا: هل كان في عملهم امر لغير الله ؟ فالتنازع لا يحصل الا اذا وجدت المسائل الدنيوية وهوى النفس .

إن ما حصل بين الاصحاب يقلقني ويضايقني، لذا اردت ان أنصحكم بكلمات قليلة، واضيف هذه النقطة ايضا بانه في الاساس عليكم ان تجمعوا بين الدين والسياسة لانه إن افترق احدهما عن الاخر فسيتسبب باضرار وعواقب وخيمة، كلاهما يجب ان يكونا معا .

إن اردتم ان تكونوا سياسيين زيادة عن الحد فستهلكون!! فالسياسي البحت لا يمكنه ان يكون مفيدا للمجتمع الاسلامي وفعالا فيه وسيحجم الناس عن تقبله، ومهما كنتم سياسيين فلن تكونوا سياسيين اكثر من مظفر

بقايي والذي وقع في المشاكل لانه كان سياسيا بحتا، فاولائك الذين كانوا سياسيين خالصين قد فشلوا وخسروا».

لقد منعنا الامام من اي اختلاف يفضي الى اي نوع من انواع المشاجرة واكد على انه يجب العمل بالامور الدينية والاسلامية والاعتناء بها الى جانب المواضيع السياسية لان كليهما مثل جناحين بالنسبة للانسان .

حديث سماحته استمر حوالي النصف ساعة و في الختام دعا لنا جميعا قائلا : «انطلقوا وانشاء الله تعملون معا بمحبة وتوحد واخوة».

بعد هذا اللقاء هدأت الخلافات.

السيد محتشمي

***

رسالة المفكر الكبير المرحوم جلال آل احمد إلى الإمام الخميني(ره):

آية الله: عندما كانت الأخبار السارة عن إطلاق سراح سعادتكم تعم طهران، كان الفقراء ينتظرون الرحلة إلى بيت الله الحرام. لذلك لم تتسن لي الفرصة لأقبل أياديكم مرة أخرى.

لدينا هنا عدة أخبار أحببت أن أطلعكم عليها:

أولاً؛ رأيت رجلاً شيعياً جعفرياً من الأحساء - جنوب غرب الخليج الفارسي. بالقرب من الكويت والظهران – كان يقول إن ٨٠٪ من أهالي

الأحساء والضوف[١] والقطيف من الشيعة، وكان مطلعاً تماما على أنباء تلك الحادثة الأليمة في الخامس عشر من خرداد، حيث كان قلقاً جداً، إلا أنه كان سعيدًا بسماع خبر إطلاق سراحكم.

أردت أن أحيطكم علماً أنه لأمر حسن أن يهاجر واحد من علماء الدين إلى تلك المناطق، وستنعكس آثار إيجابية كثيرة لذلك.

ثانياً: توجد إشاعة هنا مفادها؛ أنه من المفترض أن يحج آية الله السيد الحكيم هذا العام، إلا أن لديه بعض الشروط قد تمت الموافقة من قبل السعوديين على اثنين منها والثالث لم تتم الموافقة عليه. الاثنان اللذان تمت الموافقة عليهما؛ وجود إمام جماعة للشيعة في بيت الله ـ وتجديد بناء قبور البقيع، وأما الثالث أن تكون له الحرية في إعلان الهلال والعمل به، إلا أنهم لم يوافقوا عليه ولهذا لم يحضر سماحته بنفسه وإنما بعث وفدا يرأسه نجله على ما يبدو.

كنت أرغب بإخباركم بهذين الخبرين.

الأمر الآخر يقال أنه منذ عامين فقط تم السماح للشيعة في هذه المنطقة بالتدريس والتعليم، وقبل هذه الفترة لم يكن يسمح لهم بذلك.

الأمر الآخر هو أنه كنت ناوياً إعادة طباعة كتاب نزعة التغريب (غرب زدگی) في طهران بعد إدخال العديد من التعديلات عليه، إلا أنهم سحبوه من

---

[١] هكذا جاءت في الأصل، وربما المقصود الهفوف.

المطبعة، مما أدى إلى ضرر الناشر الكريم، فداءً لأجلك.

الأمر الآخر هو أنه كانت لدي خطة أخرى انتهيت منها وسافرت، وهي حول دور المتنورين بين علماء الدين والحكام. وتوضيح أنه لماذا هؤلاء السادة دائما وفي اللحظات الحساسة يميلون جانب الحكام، وهو ما لا ينبغي. فإذا عدنا بالسلامة سوف أكمله، وأرسله إلى حضرتكم. أظن أنني بينت الأسباب التاريخية والنفسية للقضية. وقد ذكرت مقدماته في طليعة الطبعة غير المكتملة من كتاب نزعة التغريب (غرب زدگی).

الأمر الآخر هو أنه أتمنى لكم التوفيق.

والسلام عليكم

جلال آل احمد

مكة المكرمة ـ يوم السبت ٣١ فروردين ١٣٤٣ش/ ٨ ذي الحجة ١٣٨٣هـ

بعد التحرير

كما ابلغتكم اثناء اللقاء أنني مستعد لتنفيد اي امر تطلبونه .

يتم أحيانا توزيع بعض البيانات والنشرات باسماء بعض الشخصيات العلمائية تفتقد الى الوقار والصلاحية .

عنواني يعرفه السيد صدر واكتبه هنا :تجريش-آخر زقاق فردوسي

***

التاريخ: ١٣٤٢/٣/١٦ش

من: قم

إلى: طهران

الفريق رئيس السافاك

تم اليوم توزيع منشور من قبل آية الله النجفي [المرعشي] يتضمن الاحتجاج على اعتقال [الإمام] الخميني، وأنه يحذّر الشعب بأن لا تتضاءل الحرارة الموجودة لديهم، وأن يدعموا العلماء.

***

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

إن الحوادث المؤسفة خلال الأيام الأخيرة التي أدت إلى قتل وإصابة بعض الناس الأبرياء، واعتقال سماحة آية الله الخميني، وآية الله القمي، وآية الله محلاتي الشيرازي، والسادة الآخرين الأجلاء جعلتنا نشعر بقلق وحزن عميقين، ومن المدهش أن مسؤولي الأمن بمنتهى الوقاحة يظهرون أن السادة المراجع العظام والعلماء الأعلام دامت بركاتهم يوافقون على أمور من المحرز أنها تخالف الإسلام ومراراً وتكراراً تمت الإشارة إليها.

إنني وفي هذا الظرف الحساس أرى من اللازم أن أنبه الجهات المعنية، أن القيام بمثل هذه الأعمال اللاإنسانية ضد العلماء، والاغتيال والاعتداء على

الناس الأبرياء ليس فقط لا يحل المشكلة بل ستتفاقم الأمور وتؤدي إلى الانقسام والتدهور.

من المؤسف جدا أن تنتهك حرمة الإسلام المقدس وعلماء الدين هكذا من قبل الجهات المعنية.

إنا لله وإنا إليه راجعون. أسأل الله تعالى عز اسمه أن يحفظ الإسلام والمسلمين تحت ظله من جميع الحوادث، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

١٣ محرم الحرام ١٣٨٣هـ

الأفقر أحمد الموسوي الخونساري

***

يا كوثر الأطهار

دفـنَ العِـــدا نبـعَ الطهـارةِ والـصفـا والخـيرُ هـاجـرَ مـن ربانـا وانتفـى
ماتـتقلـوبُالنـاسِمـنجـورِالظمـا وتيبّـست شجــرُ المكـارم والوفـا
هـــامت قوافــــلَ أمتـــي وتتـــوهت وسـط الـصحاري والمـسير توقفـا
لكنمــا العــشـاق ظلــوا دهــرهم يتورثـــون بقيـــة ممـــا اختفـــى
فالعــشق ألهمهـــم ليلبــث عنــدهم عـــذبٌ زلالٌ ورّثـــوه الأشـــرفا
أســـرَوا بقافلـــة الهيـــامِ وعـــشقُهم كان الدليلَ وكـان نـورا مـا انطفـى
رغـم الريـاحِ العاتيـاتِ وليـلِ مَـن صـــنعوا طريقـــا للعبـــاد محرفـــا
يـا كــوثر الأطهــار أكــرم بالــذي أجـرى زلالاك بعـد أزمـان الجفـا
ذاك الـــذي أحيـــا قلــوبا بعــد أن ماتـــت وفيهـــا اليـــأس عـــشعش
هـذيالـصحاريسـيديقـدأزهـرت فغـدت بعـذبك للمحبـة مـصحفا
آياتُـــهُ انـــسابت جـــداولَ ترتـــوي منها الأُلى كـي يلتقـوا بالمـصطفى
هيئـــــتَ أنفــــسَنا لــــه وبلادَنـــــا مهـــدتَها والوعـــدُ لا لـــن يُخلَفـــا
ليـتَ الإلـهَ أطـالَ عمـرَكَ كـي تـرى عهـدَ العدالـةِ والإمـامَ الألطفـا
هيـــأت دولتـــهُ فليتَـــك لـــم تمـــت لتنـال ممـا قـد غرسـت وتقطفـا
ماعـشتَ فـي سـجن الأنـا كـلا ومـا قلـبُ الخمينـيْ نحـوَ ذاتـهِ قـد هفـا
فرضــيت بعــدك ســيداً يحــدو بنــا نحو العدالة من له المولى اصطفى

فلَأنـــت أنـــت الخامنـــائيُ الـــوليْ والخامنـــائيْ أنـــت ياعـــذباً صـــفا

فؤاد الراشدي

شعبان المعظم ١٤٣٩

***

متى غاب الإمام؟؟

ومرَّت..

تُهيج الآه ذكراهُ

وما مرا.

وعادت... تُمد ضراوة النيران

في أحشائنا جمرا.

وتشعل في الدما ذكراهْ

حنين المُكْمَدِ الولهانْ

رعاها الله من ذكرى.

أتذكر أيها الموجوع... يا قلبي

أتذكر ذلك القدسيَّ... والروحيَّ

والممتدَّ في أعماقنا جذرا.

أتذكر ذلك العملاقْ

سرى نحو الثريا

وطالت هامُه الشِعرى

أتذكره ؟ وتذكر ليلنا المحفوف بالبلوى ،
وقد وافاه ذاك الروح في عمق الدُجا بدرا
سبانا الليل يا قلبي
وفي عطفيه كان الفجر موقوداً ،
ذُبنا في تبلُّجه ،
تِهنا باشتعال الأفق
يوم بزوغه سُكرا
وقبل سناه ما كنَّا وما كان الربيعْ
وما كانت فراشات الرُبى
تستعذب الفجرا
أتذكر ذلك المجبول شريانا
نما واجتاح دنيانا.. وغذانا.. وغذانا
وفي أرواحنا استشرى.
أتذكره ؟ وفي عينيه يغفو الصبح رياناً،
على شطَّيهْ تحوم نفوسُنا الحرى
وحيدُ زمانه يا قلب
أخبرني أتذكره ؟؟
أدار السبحة السمراء في كفٍ
ويا عجبي !
أدار الكون في الأخرى

أتذكره....

أتذكره...

فضج بمسمعي قلبي

وصاح منددا زاجرْ

لحاك الله يا شاعرْ

أطلتَ

ولا أرى وفَّيت،

متى غاب الأمام

لكي يحتاج للذكرى.